نظريات علم الاجتماع الثقافي – السنة الأولى ماستر ثقافي

1/ مدخل لنظريات ومناهج علم الاجتماع

تمهيد :

يعرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، علم الاجتماع بأنه: "دراسة وصفية تفسيرية مقارنة للمجتمعات الإنسانية، كما تبدو في الزمان والمكان، للتوصل إلى قوانين التطور، التي تخضع لها هذه المجتمعات الإنسانية في تقدمها وتغيرها " .

ويحدد علماء الاجتماع موضوع علمهم، بالظواهر الاجتماعية، التي تظهر نتيجة لتجمع الناس معاً، وتفاعلهم مع بعضهم بعضاً، ودخولهم في علاقات متبادلة، وتكوين ما يطلق عليه الثقافة المشتركة. حيث يتفق الناس على أساليب معينة في التعبير عن أفكارهم. كما أنهم يتفقون على قيم محددة، وأساليب معينة، في الاقتصاد، والحكم، والخلاق، وغيرها.

وتبدأ الظواهر الاجتماعية بالتفاعل بين شخصين أو أكثر، والدخول في علاقات اجتماعية. وحينما تدوم هذه العلاقات وتستمر، تشكل جماعات اجتماعية. وتعد الجماعات الاجتماعية من المواضيع الأساسية التي يدرسها علم الاجتماع.

وهناك موضوع آخر يدرسه علم الاجتماع، يتمثل في العمليات الاجتماعية، كالصراع، والتعاون، والتنافس، والتوافق، والترتيب الطبقي، والحراك الاجتماعين وهناك أيضاً الثقافة التي تعرف بأنها: "الكل الذي يتألف من قوالب التفكير، والعمل في مجتمع معين " .

كما أن التغير في الثقافة وفي البناء الاجتماعي، أحد ميادين الدراسة في علم الاجتماع. كما أن هناك النظم الاجتماعية، وهي الأساليب المقننة والمقررة للسلوك الاجتماعي.

وكذلك الشخصية، وهي العامل الذي يشكل الثقافة، ويتشكل من خلالها. وتدل المؤلفات التي تؤلف في مادة علم الاجتماع، وأيضاً اهتمامات علماء الاجتماع البارزين، على أن الموضوعات الأساسية هي باختصار كما يلي:

1- التحليل الاجتماعي، ويشمل:

الثقافة والمجتمع - ومناهج البحث في العلوم الاجتماعية.

2- الوحدات الأولية للحياة الاجتماعية، وتشمل:

(أ) الأفعال الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية.

(ب) شخصية الفرد

(جـ) الجماعات

(د) المجتمعات المحلية "الحضرية والريفية "

(هـ) الروابط والتنظيمات

(و) السكان

(ز) المجتمع.

3- المؤسسات الاجتماعية الأساسية، وتشمل:

الأسرة، الاقتصاد، السياسة، القانون، الدين، التعليم، الرعاية الاجتماعية، المؤسسات التعبيرية والجمالية.

4- العمليات الاجتماعية الأساسية، وتشمل:

التمايز والطبقات، التعاون والتلاؤم والتماثل، الاتصال، الصراع الاجتماعي، الضبط الاجتماعي، الانحراف "الجريمة والانتحار... "، التكامل الاجتماعي، التغير الاجتماعي.

هذا باختصار تعريف عام بالمواضيع التي يدرسها علم الاجتماع.

النظريات في علم الاجتماع.

يذكر علماء الاجتماع أن التيارات الفكرية التي صاحبت ظهور هذا العلم ونشأته، لا تزال تؤثر في توجهه النظري حتى الآن. والحقيقة أن مختلف النظريات في هذا العلم تصب في اتجاهين أساسيين، يتميز كل منهما برؤية خاصة للواقع الاجتماعي: اتجاه محافظ، واتجاه رافض وثوري. والنظريات عبارة عن طرق مختلفة لإدراك الحقائق الاجتماعية وتفسيرها. وتعرف النظرية بأنها: "مجموعة مبادئ وتعريفات مترابطة، تفيد في تنظيم جوانب مختارة من العالم الأمبيريقي على نحو منسق ومنتظم " ، فهي تتكون من قضايا مترابطة منطقياًن وقابلة للتحقق الواقعي، وتنطوي على دعاوى وبدهيات أساسية. وتعد النظرية مسألة أساسية في العلم. ويرى المطلعون في ميدان النظرية، أن البحث دون سند من نظرية، أو دون اتجاه نظري، ليس إلا نوع من العبث، وذلك لأن النظرية في علم الاجتماع مستمدة أصلاً من نتائج دراسة عملية، أجريت فعلاً في الواقع الاجتماعي، وليست مستمدة من لنظر العقلي المجرد .. وتؤدي نظرية علم الاجتماع الوظائف التالية:

1- تصنيف الأحداث الواقعية وتنظيمها.

2- تفسير أسباب الأحداث التي تقع، والتنبؤ بما يمكن أن يحدث في المستقبل، في إطار شروط معينة.

3- تقديم فهم علمي شامل بالقوانين التي تحكم حركة الأحداث في الواقع الاجتماعي.

وسوف نشير فيما يلي إشارة سريعة ومقتضبة إلى أبرز المواقف النظرية في علم الاجتماع:

1- النظرية البنائية الوظيفية:

يلخص أحد علماء الاجتماع الأفكار الرئيسة التي تعتمد عليها هذه النظرية في ست نقاط هي :

(أ) يمكن النظر إلى أي شيء، سواء كان كائناً حياً، أو اجتماعياً، أو سواء كان فرداً، أو مجموعة صغيرة، أو تنظيماً رسمياً، أو مجتمعاً، أو حتى العالم بأسره، على أنه نسق أو نظام، وهذا النسق يتألف من عدد من الأجزاء المترابطة، فجسم الإنسان نسق، يتكون من مختلف الأعضاء والأجهزة، وكذلك شخصية الفرد، والمجتمع، والعالم.

(ب) لكل نسق احتياجات أساسية لا بد من الوفاء بها، وإلا فإن النسق سوف يفني، أو يتغير تغيراً جوهرياً، فكل مجتمع مثلاً يحتاج أساليب لتنظيم السلوك "القانوني"، ومجموعة لرعاية الأطفال "الأسرة"، وهكذا.

(ت) لا بد أن يكون النسق دائماً في حالة توازن، ولكي يبقى كذلك فلا بد أن تلبي أجزاؤه المختلفة احتياجاته، فإذا اختلت وظيفة أحد الأجزاء فإن الكل يصبح في حالة عدم اتزان.

(ث) كل جزء من أجزاء النسق قد يكون وظيفياً، أي يسهم في توازن النسق، وقد يكون ضاراً وظيفياً، أي يقلل من توازن النسق، وقد يكون غير وطيفي، أي عديم القيمة بالنسبة للنسق.

(ج) يمكن تحقيق كل حاجة من حاجات النسق بواسطة عدة متغيرات أو بدائل، فحاجة المجتمع لرعاية الأطفال مثلاً يمكن أن تقوم بها الأسرة، أو دار الحضانة، وحاجة المجتمع إلى التماسك، قد تتحقق عن طريق التمسك بالتقاليد، أو عن طريق الشعور بالتهديد من عدو خارجي.

(ح) وحدة التحليل يجب أن تكون الأنشطة أو النماذج المتكررة. فالتحليل الاجتماعي الوظيفي، لا يحاول أن يشرح كيف ترعى أسرة معينة أطفالها، ولكنه يهتم بكيفية تحقيق الأسرة كنظام لهذا الهدف. وهدف التفسير الوظيفي، هو الكشف عن كيفية إسهام أجزاء النسق في تحقيق النسق ككل، لاستمراريته، أو في الإضرار بهذه الاستمرارية (24). وقد سميت هذه النظرية بالبنائية الوظيفية لأنها تحاول فهم المجتمع في ضوء البنيات التي يتكون منها، والوظائف التي تؤديها هذه البنيات.

2- النظرية الماركسية:

تقوم الماركسية - بوصفها نظرية في علم الاجتماع - على مسلمتين أساسيتين هما:

(أ) أن العامل الاقتصادي هو المحدود الأساسي لبناء المجتمع وتطوره، فعلاقات الإنتاج في مجتمع ما، هي التي تحكم وتحدد كافة مظاهر الحياة في هذا المجتمع، أي البناء الفوقي من سياسة، وقانون، ودين، وفلسفة، وأدب، وعلم، وأخلاق.

(ب) النظر إلى العالم بما فيه المجتمع، من خلال الإطار الجدلي: الموضوع ونقيض الموضوع، والمركب منها، وهو إطار مستمر لا يتوقف، ويقول تيماشيف: "إذا ركّبنا المسلمتين الأساسيتين لماركس معاً، خرجنا ببعض النتائج، فكل نسق من الإنتاج يبدأ بحالة إثبات، حيث يكون أكثر النظم الممكنة كفاءة في ذلك الوقت، لكنه متى عزز اجتماعياً يصبح عقبة أمام تطبيق الاختراعات التكنولوجية، والإفادة من الأسواق الحديثة، والمواد الخام، ولا يمكن للتطور التاريخي أن يقف عند هذه المرحلة، فالنظام المعزز اجتماعياً ينبغي القضاء عليه بواسطة ثورة اجتماعية، تخلق نظاماً جديدا لإنتاج، مركب من القديم والجديد ".

وهذه النظرة تجعل أي مجتمع يتكون من طبقتين أساسيتين متناقضتي المصالح، مما يجعل الصراع بينهما حتمياً، فتحدث الثورة الاجتماعية التي تؤدي إلى تغيير علاقات الإنتاج. وعلى هذا فإن الصراع الطبقي هو المحرك الأساس للتغيير الاجتماعي، من أجل الوصول إلى مجتمع بلا طبقات، وهو مستمر في زعمهم على طور التاريخ، فتاريخ أي مجتمع عند الماركسية هو تاريخ الصراع بين الطبقات المستغِلة والمستغلة .

فيما سبق عرضنا لأهم نظريتين في علم الاجتماع، ومع ذلك فإنهما لا يمثلان إلا جزءاً بسيطاً من النظريات في هذا العلم، ويكفي أن نطالع كتاب تيماشيف "نظرية علم الاجتماع" مثلاً، لنعرف مدى سعة وكثرة النظريات وتعددها في هذا العلم.

[جـ] مناهج البحث في علم الاجتماع.

هناك مناهج للبحث يستخدمها علماء الاجتماع، ويتوقف استخدامها على الباحث، وطبيعة البحث، والإمكانات المتوفرة، ودرجة الدقة المطلوبة، وأغراض البحث، ولعل من أكثر الطرق المنهجية شيوعاً في الدراسات الاجتماعية، المنهج التاريخي المقارن، والتجريبي، والمنهج الوصفي وغيرها، مما قد تقتصر فيه النتائج على الوصف، أو تتعدى ذلك إلى التحليل والتفسير وقد لا يكتفي الباحث بأحد هذه المناهج، بل يتعدى إلى المزج بينها. وسنعطي فيما يلي نبذة عن هذه المناهج:

1- **المنهج التاريخي:** يستخدم علماء الاجتماع المنهج التاريخي، عند دراستهم للتغير الذي يطرأ على شبكة العلاقات الاجتماعية، وتطور النظم الاجتماعية، والتحول في المفاهيم والقيم الاجتماعية. وعند دراستهم لأصول الثقافات، وتطورها،وانتشارها. وعند عقد المقارنات المختلفة بين الثقافات والنظم، بل إن معرفة تاريخ المجتمع ضرورية لفهم واقعه. وقد صاحب المنهج التاريخي نشأة علم الاجتماع، وقد كان في البداية تطورياً، يميل إلى وضع المراحل التطورية المختلفة للمجتمعات الإنسانية، كما هو عند كونت وسبنسر. ولكن النزعة التطورية بدأت تتلاشى، نظراً لعدم موضوعيتها. وتعد الوثائق سواءً أكانت وثائق شخصية، أم رسمية، أم عامة، من أهم مصادر المعرفة الاجتماعية، كالتاريخ الاقتصادي، والسياسي، والديني، والتربوي، والسكاني وغيرها، ومثل ذلك الدراسات الوصفية المتكاملة لمجتمع ما في فترة تاريخية معينة، حيث تحتوي هذه الدراسات عادة على معلومات قيمة تفيد عند التحليل. يمكن أن نمثل لهذا النوع من الدراسات، بالدراسة الضخمة، التي أعدتها مجموعة علماء الحملة الفرنسية على مصر بعنوان: وصف مصر، حيث تعد دراسة مسحية شاملة للبناء الاجتماعي لمصر في فترة تاريخية معينة.

2- المنهج الوصفي: "يعد المنهج الوصف من أكثر مناهج البحث الاجتماعي ملاءمة للواقع الاجتماعي وخصائصه. وهو الخطوة الأولى نحو تحقيق الفهم الصحيح لهذا الواقع. إذ من خلاله نتمكن من الإحاطة بكل أبعاد هذا الواقع، محددة على خريطة، تصف وتصور بكل دقة كافة ظواهره وسماته ".

وقد واكب المنهج الوصفي نشأة علم الاجتماع، وقد ارتبطت نشأته بحركة المسح الاجتماعي في إنجلترا، أو منهج لوبلاي في دراسة الحالة، ونشأة الدراسات الأنثروبولوجية.

والفكرة الأساسية التي يقوم عليها المنهج الوصفي هي: أن المشكلة التي واجهت الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية، هي عدم وجود منهج علمي حقيقي، يصلح لتحليل هذه الظواهر. فلم تكن الملاحظة خاضعة لقواعد تنظمها، بحيث نعرف بدقة كيفية الملاحظة، وأهمية الظواهر التي تُلاحظ، وأكثرها دلالة. ولذلك فإن المنهج الوصفي يعتمد على خطوات هي:

(أ) اختيار الوحدة الاجتماعية الأولية والأساس في الموضوع المدروس.

(ب) اكتشاف الطريقة الملائمة للقياس الكمي لمختلف عناصر مكونات وحدة الدراسة.

(ت) فحص العوامل المختلفة المؤثرة في تنظيم الظاهرة المدروسة في وظائفها.

وعلى هذا فإن البحوث الوصفية تتم على مرحلتين، مرحلة الاستكشاف والصياغة. ومرحلة التشخيص والوصف المتعمق. وهما مرحلتان مرتبطتان ببعضهما. ويعد المسح الاجتماعي ودراسة الحالة، والبحوث السكانية التي تصف المواليد، والوفيات، وتحركات السكان، وتوزيعهم، بحوث وصفية، تمثل المنهج الوصفي، ويوفر المنهج الوصفي كثيراً من البيانات والمعلومات التي تزيد المعرفة بالظواهر، وتنمي البصيرة بالواقع الاجتماعي بكل أبعاده.

3- المنهج التجريبي:

"التجريب جزء من المنهج العلمي. فالعلم يسعى إلى صياغة النظريات التي تختبر الفروض التي تتألف منها، وتتحقق من مدى صحتها.. والتجربة ببساطة: هي الطريقة التي تختبر بها صحة الفرض العلمي ".

"فالتجريب هو القدرة على توفير كافة الظروف، التي من شأنها أن تجعل ظاهرة معينة ممكنة الحدوث في الإطار الذي رسمه الباحث وحده بنفسه. والتجريب يبدأ بتساؤل يوجهه الباحث مثل: هل يرتبط ارتفاع المستوى الاقتصادي للفرد بإقباله على التعليم؟ أو هل هناك علاقة بين الدين والسلوك الاقتصادي؟. أو بين التنشئة الاجتماعية وانحراف الأحداث؟ ومن الواضح أن الإجابة على هذه التساؤلات، تقتضي اتباع أسلوب منظم لجمع البراهين والأدلة. والتحكم في مختلف العوامل التي يمكن أن تؤثر في الظاهرة موضوع البحث، والوصول إلى إدراك للعلاقات بين الأسباب والنتائج ".

ويعتمد تصميم البحث التجريبي على عدة خطوات، هي تحديد المشكلة، وصياغة الفروض التي تمس المشكلة، ثم تحديد المتغير المستقل، والمتغير التابع، ثم كيفية قياس المتغير التابع، وتحديد الشروط الضرورية للضبط

والتحكم، والوسائل المتبعة في إجراء التجربة. ومع صعوبة تطبيق هذا المهج في العلوم الاجتماعية، إلا أنه طبق فيها، واستطاع أن يغزو علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية، تحت تأثير النجاح الذي حققه في العلوم الطبيعية.

4- المنهج المقارن:

يمكن القول بأن المنهج المقارن، يطبق في علم الاجتماع بكافة فروعه ومجالات دراسته، ذلك أن أي بحث في علم الاجتماع لا يخلو من الحاجة إلى عقد مقارنة ما. وقد استعان به أغلب علماء الاجتماع قديماً وحديثاً، ويمكن ذكر المجالات الرئيسة في علم الاجتماع، التي يمكن أن تخضع للبحث المقارن فيما يلي:

(أ) دراسة أوجه الشبه والاختلاف، بين الأنماط الرئيسة للسلوك الاجتماعي.

(ب) دراسة نمو وتطور أنماط الشخصية، والاتجاهات النفسية والاجتماعية في مجتمعات، وثقافات متعددة، مثل بحوث الثقافة، والشخصية، ودراسات الطابع القومي.

(ج) دراسة النماذج المختلفة من التنظيمات، كالتنظيمات السياسية والصناعية.

(د) دراسة النظم الاجتماعية في مجتمعات مختلفة، كدراسة معايير الزواج والأسرة والقرابة، أو دراسة المعتقدات الدينية، وكذلك دراسة العمليات والتطورات التي تطرأ على النظم الاجتماعية مثل التحضر.

(هـ) تحليل مجتمعات كلية. وعادة ما تتم المقارنة بين المجتمعات وفقاً للنمط الرئيس السائد للنظم.

2/النظريات العامة في علم الاجتماع.

النظريات العامة ثلاثة:

النظرية الأولى و الثانية من النوع العام **Macro** تتناولان الأمم و الشعوب عبر الزمان و المكان. أما **الثالثة** فمستواها أقل من ناحية تناولها للمجموعات الصغيرة **Micro** و تهتم بفهم التفاعل الرمزي بين أفراد المجموعات الصغيرة مثل فرقة المسرح و فريق كرة القدم، و غيرها و النظريات الثلاث هي:

النظرية البنائية الوظيفية Structural Functional Theory و نظرية الصراع Conflict Theory و نظرية التفاعل الرمزي Symbolic Interaction Theory

وتنبع النظريات التي سنتعرض لها بالشرح الموجزفيما يلي من مبدأين أو نموذجين متنافرين **Paradigms** هما فكرة **النظام Order** أو فكرة **عدم النظام Disorder.**

ان النظرية البنائية الوظيفية متبعة بكثرة في علم الاجتماع الغربي و تعتبر الرأسمالية العالمية سندا لهذا المبدأ، بينما يتبع نموذج نظرية التصادم و الصراع المبدأ الثاني و هي متبعة في الدول الاشتراكية لأنها تعتمد على المساواة بين الطبقات و تدخل الدولة للحفاظ على تلك المساواة دون تركه في يد الأفراد.

أما النظرية الثالثة فهي **نظرية التفاعل الرمزي،Symbolic Interaction Theory** . و لا تعارض هذه النظرية النظريتين السابقتين إلا من مبدأ المستوى التحليلي للنظرية حيث تهتم بالعلاقات الإنسانية و فهمها دون النظر إلى الإيديولوجية التي تكون هذه العلاقات.

أولا: النظرية البنائية الوظيفية Structural Functional Theory:

ترجع تسمية هذه النظرية إلى استخدامها لمفهومي البناء **Structure** و الوظيفة **(Fonction)** في فهم المجتمع و تحليله، و مفاد هذه النظرية أن المجتمع مثل الكائن الحي يتكون من عدة أجزاء تعمل على استمرارية المجتمع الكبير بطريقة طبيعية، و من خلال اسمها يتبين أنها تعتمد على عنصرين أساسيين: أولهما **البناء الاجتماعي** و ثانيهما **الوظيفة الاجتماعية،** و يعني البناء الاجتماعي أن المجتمع يصرف أموره الحياتية بهدوء إنساني من خلال مؤسساته كالأسرة و المدرسة و الأماكن الدينية و الأندية الثقافية و الاقتصادية و السياسية، حيث تتضافر جهود هذه المؤسسات لتسيير المجتمع و كلها أعمدة تكون في مجموعه البناء الاجتماعي. أما الوظيفة الاجتماعية فتعني أن للمجتمع وظائف و لمؤسساته أيضا وظائف تسير بالمجتمع الكبير لتحقيق أهدافه الموضوعة في مجال السياسة و الاقتصاد و الثقافة، و ممن نادوا بالوظيفية **راد كليف براون** و **باريتو** الذي سماها المنفعة – **Utility.**

و أول من نادى بهذه النظرية الفرنسي أوغست كومت و الانجليزي هربرت سبنسر، و كلاهما بنى فكرة المجتمع على فكرة تكوين الإنسان، فالإنسان مكون من أجزاء: جهاز تنفس و جهاز دم و جهاز أعصاب، و يقوم كل من هذه الأجزاء بوظيفة تساهم في بقاء الإنسان حيا متحركا، كما أن الإنسان يتكون من عظام و لحم و عضم و دم و كلها تعتمد على بعضها البعض في الإسهام بتركيب الإنسان البشري، و قد كان اهتمام كومت و سبنسر بما يقدمه كل جزء في بناء المجتمع حسب وظيفته لبقائه و استمراره، و قد تبعهما بعد ذلك أميل دور كهايم، و عليه فإن للنظرية البنائية الوظيفية ايجابيات و لها سلبيات.

و قد سيطرت هذه النظرية على علم الاجتماع الغربي حتى بداية الستينات، حيث بدأت النظرية التصادمية تضغط عليها و تنازعها السيطرة في الغرب، خاصة بعد زيادة الاستغلال السياسي و الاقتصادي من الدول الغنية الصناعية للدول الفقيرة الزراعية، حيث انعدم العدل و قلت المساواة حتى في المجتمعات الغربية بالنسبة للجنس و اللون و الدين. و كان مفاد النظرية الجديدة أن المجتمع حتى يستمر لابد و أن يكون العدل و المساواة في الحرية و التملك و الحركة من مكان لآخر و الخدمات الصحية، و قد تطورت هذه النظرية في الستينات فيما يعرف **بنظريات التحديث Modernization Theory** و تقوم على فرضية أن المجتمعات الزراعية النامية ستحذو حذو الدول الصناعية في التغير الاجتماعي و ستصبح مثلها مستقبلا كما ركزت على عوامل الاتصال و التعليم و الصحافة للتغيير المتوقع.

رغم ما تتعرض له هذه النظرية من انتقادات إلا أنها أكثر النظريات في العلوم الاجتماعية تطبيقا، فهي تستعمل من قبل علماء الاجتماع الاكاديميين لدراسة و تحليل كل شكل من أشكال النظام الاجتماعي بما فيها الأسر و المدارس و المعاهد و السجون و الوزارات و حتى فرق الألعاب في النوادي، و هي نظرية قابلة للتطبيق في كل مجال اجتماعي، و يمكن الاستفادة منها في تعريف و تحديد مكونات النظام و أهدافه و المساعدة في تحقيق هذه الأهداف، و عند التعرض لحل مشاكل أي نظام اجتماعي (أسرة أو شركة أو مدرسة) فإننا نبدأ بالإجابة عن مجموعة أسئلة مثل: ما أجزاء النظام؟ و ما الوظيفة التي يجب على كل جزء القيام بها؟ و كيف تؤثر الاجزاء على بعضها البعض؟ و ما علاقة جزء بالآخر؟.

و يستطيع مشجعوا النظرية البنائية الوظيفية مثلا أن يزيدوا من عدد الناجحين في الامتحانات. و خلق سبل لتغيير السلوك المنحرف إلى سلوك بناء سوي، و بدلا من تحطيم أثاث المدارس يقوم الطلبة بالخدمة لتنظيف المدرسة و الاهتمام بالدراسة و المذاكرة من أجل تحقيق تفوق في الدراسة، كما يستطيع العالم في هذه النظرية بتحديد الأفعال المقصودة من العمل نفسه أو النتائج الغير مقصودة من الفعل نفسه، و يجعل من الأجزاء المتنافرة في النظام طاقات لتقوية النظام و استمراره.

و بينما ترى النظرية البنائية الوظيفية أن وظيفة الأجزاء التي يتكون منها المجتمع قد تكون سلبية **Négative** أو ايجابية **Positive**، ترى نظرية التصادم الاجتماعي أن كل الوظائف في الحقيقة ايجابية لجهة معينة و

سلبية لجهات أخرى و هذه الوظائف تضر بطبقة عريضة من عامة الشعب، لأن المنتفعين من هذه الوظائف قلة قليلة من شرائح المجتمع، و لا تنظر عادة النظرية البنائية الوظيفية إلى مسألة المنتفعين في المجتمع و لا إلى مسألة المساواة و العدل في توزيع ثروات البلد.

الفكرة العامة للنظرية البنائية الوظيفية

يعتبر المجتمع نسقا عاما يشمل مجموعة من النظم الاجتماعية و الثقافية و ترتبط النظم بطبيعة الأفعال الاجتماعية التي تكرس من أجل خدمة الإنسان و قضاء حاجاته الأساسية.

يركز علماء هذه النظرية على ضرورة الاهتمام بالثقافة باعتبارها المادة الروحية و العقلية التي ترتبط بالنظم ارتباط شديد.

وهي على عكس الوظيفية التي تفسر الظاهرة الاجتماعية تفسيرا يأخذ بعين الاعتبار نتائج وجودها و فعاليتها بعيدا عن الأجزاء التي تتكون منها.

وترجع جذور فكرة النظرية إلى التراث الفكري اليوناني المنطوي على رؤية الأحداث الاجتماعية بأنها مكونة من أجزاء مترابطة مفصليا و وظيفيا.

نشأة النظرية البنيوية الوظيفية:

يرتبط نشوء النظرية البنيوية الوظيفية بالفكر الوضعي إذ كانت النزعة الوضعية منذ بداية القرن التاسع عشر مؤيدة للعلم و معارضة للميتافيزيقيا التقليدية، إذ أن تأييدها للعلم و المنطق التجريبي كان يستند على فكرة الوصول إلى القوانين التي تخضع لها الوقائع و الظواهر الاجتماعية.

على الرغم من أن هناك العديد من علماء الاجتماع الذين ينتمون إلى الاتجاه الذي يعرف باسم الوظيفية مثل روبرت ميرتون و جورج هومانز و تالكوتبار سونز و ماريون ليفي و روبرت ميلز و غيرهم.

الفروض الرئيسية للنظرية:

أفضل طريقة للنظر إلى المجتمع هي اعتباره نظاما لأجزاء مترابطة لكل نسق احتياج أساسي لابد من الوفاء به و إلا سيتغير تغير جوهري.

يميل المجتمع بشكل طبيعي نحو حالة من التوازن الديناميكي و لكي يبقى كذلك لابد من تلبية أجزاءه المختلفة.

تعتبر جميع الأنشطة المتكررة في المجتمع لا غني عنها في استمرار وجوده.

تساهم جميع الأنشطة المتكررة في المجتمع في استقراره و الحفاظ على استقرار نظامه.

دور وسائل الإعلام:

نرى أن لها دور كبير على الاتصال الجماهيري لأنه يقوم بأنشطة متكررة، تساهم في تحقيق التوازن الاجتماعي للمجتمع.

و أنه مكون أساسي في البناء الاجتماعي لا يمكن الاستغناء عنه في المجتمع المعاصر.

من جانب آخر يمكن أن يسبب خلل وظيفي و ذلك حين يساهم في التنافر و عدم الانسجام، إذا كان تأثيرها هو الإثارة و التحريض.

الانتقادات التي وجهت للنظرية

-يأخذ على الاتجاه البنائي الوظيفي أنه أحادي النظرة، بمعنى أنه لا يرى و يبحث في النسق الاجتماعي إلا أبعاد التوازن و الوظائف و تحقيق الأهداف، فلا يهتم بتحليل أبعاد أخرى مثل أبعاد التغير و الاضطراب و الأمراض و المشكلات الاجتماعية.

-انصب التركيز على الجوانب الثابتة من النسق الاجتماعي، و الأبعاد الثقافية للنسق كانت أكثر استخداما في التفسير من غيرها من مكونات النسق.

-أهمل جانب الصراع الاجتماعي، و الذي هو عنصر أساسي في فهم تغير و تطور المجتمعات الإنسانية الصناعية و النامية.

-أهم نقد وجه **لبارسونز** بأنه استخدم مصطلحات علم النفس كالدوافع الشخصية حيث وصفت نظريته بأنها ذات طابع سيكولوجي أكثر منه سوسيولوجي.

ثانيا: النظرية التصادمية – الصراع Conflict Theory

و هي نظرية قائمة على رؤية المجتمع كنظام تتفاوت طبقاته، و تستغل الطبقات بعضها البعض فتؤدي الأمور إلى قيام الطبقات المستغلة (بفتح الغين) **Those who exploited** الثورة عل الطبقات المستغلة (بكسر الغين) **Those who exploit others**، و بمعنى آخر يثور العمال العاملون لقاء أجر على أصحاب العمل و أصحاب رؤوس الأموال و أصحاب المصانع الذين يستغلونهم، أو يقومون بتغيير النظام السياسي ككل، و النظرية التصادمية بعكس النظرية البنائية الوظيفية التي ترى التغير الاجتماعي صورة طبيعية و لكن بدون تغيير للسلطة أو تغيير للطبقات، و هذه النقطة تضع النظريتين على طرفي نقيض: نظام مستمر منسجم **Continuous Equilibrium System**، أو نظام متقطع **Broken System** بالثورات و الصراعات و الخلافات، حيث ترى النظرية التصادمية أن المجتمع مختلف بطبيعته في تعدد طبقاته، **Social Status** و نوع جنسه Sex ذكور و إناث و عرق جماعته Colour و أعمارهم Age كما

تختلف العدالة بالنسبة لتوزيع المصادر الحيوية كالثورة و التعليم و المركز الاجتماعي بين طبقات المجتمع و لذا فلا بد من وجود الدولة التي تنظم هذه المصادر بالعدل بين أفراد الشعب.

و ينحصر اهتمام نظرية الصراع الاجتماعي بأسئلة خاصة حول المستفيدين من الطبقات الاجتماعية دون غيرهم، و حول المتحكمين أكثر من غيرهم في امتلاك نسبة أكبر من الموارد العامة و الخدمات الصحية و الاجتماعية و السياسية، و يقوم كثير من علماء الاجتماع المؤيدين لهذه النظرية بدراسة أحوال المجتمع – رغم أنهم يؤمنون بواقع الحال بين الطبقات– لتحسين أحواله و أوضاعه و تحاول التقريب بين الطبقات المتفاوتة حتى تقل الفروق بين الطبقات و تعم العدالة و المساواة، و قد نادى بهذه النظرية **كارل ماركس Karl Marx**، و هو المنادي بأن علماء الاجتماع و الفلاسفة إنما يفسرون العالم بطرق مختلفة، و نسوا أن النقطة الهامة التي يجب الاهتمام بها هي تغيير هذا العالم الذي يعيشون فيه (إلى الأفضل)، و تقوم نظريته حول الحتمية التاريخية و المادية الجدلية التي ترتكز فيها العلاقات البشرية حول ملكية وسائل الإنتاج و ملكية الأرض و عدم العدالة في توزيعهما.

تطبيق نظرية التصادم (الصراع) Conflict Theory Application:

تستخدم نظرية التصادم لتفسير العلاقات بين فئات و طبقات المجتمع و التفاوت الطبقي الموجود في هذه الفئات، و مع الأخذ بالاعتبار أن التصادم و الخلاف هما خاصيتان في المجتمع الإنساني و طبقاته فإن نظرية التصادم يمكن استعمالها لاكتشاف و تفسير أسباب الصدام و الخلاف، كما أنها تساعد على ابتكار طرق بناءة لحل الخلاف في مكان العمل أو في الحياة الخاصة للناس، و يقوم علماء الاجتماع بدور العالم النفساني أو المستشار العائلي فيحللون الموقف الخلافي على أنه إذا تم دفنه أو السكوت عليه بين الناس فإنه سيخلق مشاكل أكثر مما لو تمت مناقشته أو الاعتراف بوجوده، و سواء كان الموقف في مكان عمل أو في فصل دراسي أو في أسرة أو في اتحاد عمال علينا النظر إلى العوامل المخفية أو التوترات بين الرؤساء (أصحاب القوة من صاحب العمل أو الأب أو المدير أو المالك (و بين المرؤوسين) ليس لهم قوة من العمال أو الطلاب أو أفراد الأسرة) حتى و لو لم يظهر هؤلاء عدم رضاهم أو سخطهم على الحاصل إلا أن الخلاف موجود، و لا بد من معرفة أسبابه أو التعرف على بعض الملامح الدالة عليه و هذه من وظائف عالم الاجتماع الذي يقوم بجمع هذه الملامح و تحديدها و تحليلها من اجل حل الخلاف أو العمل على تقليل أثاره على المجموعة.

فإذا لاحظ عالم الاجتماع هذه الملامح فانه يبتكر طرقا و نشاطات ليظهر الغضب المكبوت أو المخفي بين أفراد المجموعة تحت الدراسة و يجعل الإفراد يتحدثون عما في نفوسهم و إبداء النقد للآخرين، و من خلال هذه النشاطات يقوم عالم الاجتماع بتحديد أسباب الخلاف و منها مثلا أن التأمين الصحي غير كاف

لبعض العاملين ا وان فرق الرواتب بين العاملين كبير ا وان الظروف البيئية في العمل تدعو إلى الاكتئاب، و يساعد فهم نظرية التصادم على حل الخلافات في أي مجموعة عمل حيث يقوم عالم الاجتماع بالاستفادة من تلك المعرفة و ذلك الفهم بابتداع طرق لحل الخلاف بتحسين الأحوال الوظيفية المسببة للخلاف من خلال مناقشة الأمر مع المسؤولين.

ثالثا: نظرية التفاعل العلاقات الرمزية Symbolic Interaction Theory: تختلف هذه النظرية عن سابقتيها فهي تهتم ببعض المميزات العامة للمجتمعات و يدرس المجتمع ككل كمن يحاول وصف مدينة من نافذة طائرة على ارتفاع عشرة آلاف قدم، و من تلك المسافة فهم يصفون طرق المواصلات و أمكنة توزيع المساكن و مداخن المصانع و يميزون المناطق المنظمة الجميلة من المناطق الحقيرة الغير منظمة من مكان بعيد و توصف النظريتان بأنهما شاملتان للمجتمع كوحدة واحدة، أما النظرية التداخلية الرمزية فهي أكثر عمقا و خوضا في المجتمع و مجموعاته الصغيرة، و هي مقارنة مع النظريتين الأخريين كمن يصف المجتمع و هو بين الناس في الحدائق و في أمكنة العمل و في المقابر و في الحفلات، و هو يصف كيف يتصرف الناس مع بعضهم البعض بصداقة أو عداوة مثلا، و لذلك فإن **نظرية التداخل الرمزي** إنما ترى المجتمع كإنتاج مختلف من خلال علاقات التداخل في معاملة الأفراد و الجماعات لبعضها البعض في أحوال و مواقف في زمان و مكان محددين.

و مجال دراسة نظرية التداخل الرمزية هو محاولة فهم المجتمع عن قرب من خلال دراسة المجموعات الصغيرة كالأسرة و المدرسة و المصنع و المستشفى و الجيش و الحكومة و غيرها من المؤسسات و الإدارات الصغيرة، كما يمكن أن تدرس مجالات عدم المساواة بين الأفراد الموظفين و طرق تعاملهم فيما بينهم، و المجتمع في منظور هذه النظرية إنما هو إنتاج علاقات البشر في حياتهم اليومية و هي بهذا إنما تجلب الانتباه إلى حقيقة هامة **و هي إن المجتمع إنما يتكون من أفعال اجتماعية Social Action و ردود أفعال Réactions بشرية متداخلة**، و لعل ما يميز هذه النظرية إنها تقوم بملاحظة تصرفات البشر تجاه بعضهم البعض و طرق طعامهم و ملبسهم و طقوس زواجهم و احتفالاتهم.

تركز نظرية التفاعل الرمزي على أن الناس يتصرفون على أساس تحليلهم للغة و الرموز في موقف ما و ليس على الموقف نفسه. و هذا التحليل مفيد بحد ذاته لأنه يقرب وجهات النظر بين الناس حول تعريف المعنى لموقف معين، و منبع المشاكل عادة حسب هذه النظرية في البيت أو مكان العمل هو الاختلاف في تعريف الموقف أو الحالة، و قد يكون مرد الاختلاف هو عدم الاتفاق أو عدم الفهم للموقف، كما أن المفهوم الذي يبينه كل فرد لنفسه يخلق ارتباكا أو ما يراه كل فرد هدفا يستدعي تحقيقه للجماعة، أو حول الطرق الكفيلة لتحقيق الهدف كالمال و القوة الجسدية أو المعنوية، و هذا ما يخلق خلافا في العلاقات بين الناس أو على

الأقل توترا و ارتباكا و يأسا في العلاقات البشرية، و لفهم ذلك نضرب المثل التالي: تصور أنك مدير في مصنع قمت بتوظيف شخصين في قسم المبيعات برواتب نصفها نقدا و النصف الآخر من العمولة على البيع، يقوم أحد الموظفين بتصور أن العائد من عمولة المبيعات في القسم يجب تقسيمها على الموظفين بالتساوي لأنهما يعملان في نفس القسم، و لكن الموظف الآخر يتصور أن المنافسة مهمة فهو يريد أن يحصل على عمولة أكثر من زميله.

تعريفها هو دراسة قواعد السلوك الإنساني المخفية أو الغير مكتوبة، و من أبحاث هذه المدرسة: الطلب من العينة (عادة ما يكون شخص واحد أو أشخاص) الوقوف في المصعد و وجهه للخلف أو إيقاف التلفزيون و الناس تشاهد البرامج أو القيام بعمل معاكس للناس، ثم يقوم الباحث بتسجيل مشاهداته: إن الشخص كان محرجا و هو يقوم بالأعمال التي طلبت منه، و مفاد النظرية أنها تعرف بالقواعد المتفق عليها اجتماعيا و بالعلاقات و التداخل بين الأفراد و الجماعات التي تختفي داخل وعي الناس.

3/نماذج لأهم النظريات والمنظرين

كارل ماركس (1818_1883) ونظريته الاجتماعية .

ولد في ألمانيا 1818م في أسرة ميسورة الحال يهودية واعتنقت البروتستانتية كان والده من رجال القانون ومؤيد لفلسفة عصر التنوير.

درس التاريخ والفلسفة وحاول أن يصبح أستاذا جامعيا في (بون) لكن السلطات لم توافق بسبب مواقفه الراديكالية وعمل في الصحافة ثم هاجر لباريس وطرد منها لبروكسل وتنقل في المهاجر واستقر أخيرا في لندن ومات فيها 1883م

هناك ثلاث مصادر أثرت في فلسفته وهي

1- الفلسفة الألمانية

2- الاقتصاد السياسي الانجليزي والاشتراكية الفرنسية

3- الظروف الاقتصادية السياسية والتاريخية القائمة عصره

وانتقد (ماركس) على هذه الاتجاهات مثاليتها والتي تفسر الوجود من خلال الفكر وليس من خلال المادة .

كان المنهج الفلسفي والنظرة المثالية المتمثلة في الفلسفة الألمانية هي السائدة في أوربا وخاصة في ألمانيا وفرنسا والتي ترى أن الفلسفة هي التي تطرح قضايا المجتمع وتفلسفها والتي كانت ترى أن التغير الاجتماعي يحدثه العقل والفكر

وهي التي رفضها (ماركس) وقال : إن التغير الاقتصادي هو أساس التغير العقلي أنه هو الذي يصنع القيم والأخلاق وأن تطور الفكر هو انعكاس لتطور الاقتصاد

لذلك تقوم نظريته على التفسير المادي للتاريخ والمجتمع الإنساني ، وهذا هو الفرق بين الرؤية المثالية والمادية التي تبناها (ماركس)

المفهوم المادي للتاريخ :

يرى (ماركس) أن علم الاجتماع يجب أن يكون منسجما مع الأساس المادي للمجتمع ويفسر فكر الناس ووعيهم من خلال واقعهم ، فمن خلال عمل البشر وإنتاجهم يدخلون في علاقات اجتماعية مع بعضهم البعض ، فتطور البناء الاقتصادي هو أساس حياة الناس الفكرية والاجتماعية وهو يعود إلى التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج

وهذا المفهوم المادي للتاريخ يرفض الاتجاهات المعرفية السابقة التي لا تأخذ سوى الدوافع الفكرية لنشاط الناس التاريخي لذلك نقد المنهج الفلسفي

وانطلاقا من هذا قسّم (ماركس) تطور التاريخ البشري إلى خمسة مراحل وهي :

1 -المرحلة المشاعية : تكون ملكية وسائل الإنتاج ملكية جماعية ولا توجد ملكية فردية أو صراع بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج والناس متساوين في الملكية والحقوق ولا يوجد بناء اجتماعي طبقي ولا قيام دولة .

2- مرحلة العبودية : حيث يسيطر الأسياد على العبيد واستغلال قوتهم وهم أسرى الحروب وتبدأ مرحلة اللامساواة تدب بالمجتمع وصار البناء الاجتماعي طبقي ونشوء الدولة التي تعبر عن مصالح الملاك وفي نهاية هذا المرحلة يدب الصراع بين الأسياد والعبيد ويتم الانتقال للمرحلة الإقطاعية

3- وهي مرحلة تتميز بنمط إنتاج إقطاعي قام على الزراعة فهناك الإقطاعيون الذين يملكون الأرض ووسائل الإنتاج والفلاحون المحرمون من ملكية وسائل الإنتاج ويؤدي هذا للصراع بين الفلاحين من جهة والإقطاعيين والدولة من جهة أخرى ، وتمتاز هذه المرحلة بتطور وسائل الإنتاج نتيجة تطور التجارة واستغلال رأس المال التجاري في الزراعة واكتشاف الآلة البخارية وهذا يؤدي إلى زيادة الصراع بين الإقطاعيين والمزارعين ، وهذا التطور يؤدي إلى الانتقال للمرحلة الصناعية .

4- المرحلة الصناعية : تمتاز بنمط إنتاج صناعي وبناء رأسمالي طبقي ووجود طبقة العمال التي تحتل أسفل الهرم الاجتماعي والطبقة الرأسمالية التي تقف على رأس الهرم الاجتماعي وينتج عنها صراع بسبب الاستغلال لطبقة العمال من قبل الطبقة الرأسمالية وهذا الصراع يؤدي إلى انتصار الطبقة الفقيرة وبالتالي الانتقال للمرحلة الخامسة وهي المرحلة الاشتراكية التي تعتبر مدخلا للمرحلة الشيوعية وتصبح فيها الملكية مشاعية وتختفي فيها الدولة .

لذلك يرى (ماركس) أن الصراع الطبقي هو أساس حركة التاريخ باستثناء المشاعية البدائية.

ماذا تبقي من الماركسية

(ماركس) هو ابن القرن التاسع عشر وتعكس أعماله التاريخ الاجتماعي الأوربي بمشاكله وصراعاته وأزماته وظواهره ونظريته استمدها من هذه البيئة ، لكن الماركسية تجاوزها الزمن موضوعا ومنهجا بسبب إنها تحولت لفكر جامد وكنسية جديدة ، بسبب جهلها بالطبيعة الإنسانية ودوافعها ، والإنسان ينزع بطبيعته إلى الملكية الخاصة والكسب وهذا هو محرك أساسي للإنسان وقد تجاهلته الماركسية .

ملخص أفكاره :

- انتقد الرؤية المثالية السائدة في عصره

- فسّر التاريخ تفسير مادي

- يرى أن التغير الاقتصادي هو أساس التغير العقلي والاجتماعي وهو الذي يصنع الأخلاق والقيم

- تطور البناء الاقتصادي هو أساس حياة الناس الاجتماعية والفكرية.

موضوع علم الاجتماع: وضح ماركس في نظريته الحتمية المادية أو المادية التاريخية أو المادية الجدلية بأن هناك وحدة لا تقبل الانفصال بين:

أ_ قوى الإنتاج social forces المؤلفة من موضوعات الإنتاج (الأرض، المناجم، الغابات، المواد الخام) وأدوات الإنتاج (الفؤوس، المحاريث، الآلات)

ب_ علاقات الإنتاج Relation of production وهي تلك العلاقات الاجتماعية بين الناس والراوبط الاجتماعية التي يقتضيها الإنتاج ويستحيل بدونها.

وحدة التحليل: اعتبر ماركس المجتمع الإنساني وحدة الدراسة والتحليل. وقال بأن فهم المجتمع وتفسير تطوره يقوم على افتراض ان القاعدة الاقتصادية هي اساس تشكيل البناء الاجتماعي وتطوره.

ويطلق على هاذين الجانبين نمط الإنتاج Mode production، وان علاقات الإنتاج تعتمد على ملكية وسائل الإنتاج Means of production وتعمل على تطوير قوى الإنتاج من خلال تقسيم العمل، وهذا التطور هو نقطة البدء في التغير الاجتماعي لان هذا يحدث خللا" في التوازن القائم بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج فمع تطور أدوات الإنتاج يتطور الإنسان أيضا" فتنمو مهاراتهم وقدراتهم.

عوامل التغير الاجتماعي: نتيجة عمليات التناقض والصراع بين قوى الإنتاج وعلاقاته من جهة، وبين الطبقات من جهة أخرى، يمر المجتمع الإنساني بمراحل يطلق على كل منها نمط إنتاج. وقد ذكر ماركس عدة أنماط إنتاج هي: النمط البدائي، العبودي، الإقطاعي، والرأسمالي ثم الاشتراكي الذي يتطور الى النمط الشيوعي، والذي يفترض أن يكون الحالة المثالية الخالية من التناقضات، وذلك بإحلال الملكية العامة محل الملكية الخاصة. وإضافة الى النمط الآسيوي الذي تحول فيه الأهمية من العامل الاقتصادي الى السياسي كمشكل للمجتمع.

المكانة العلمية: هو مؤسس الشيوعية العلمية وفلسفة المادية الجدلية والمادية التاريخية والاقتصاد السياسي العلمي، وزعيم ومعلم البروليتاريا العالمية. ولد في ترييف (ألمانيا) حيث أنهى المدرسة الثانوية في عام 1835 ، وبعد ذلك التحق بجامعة بون ثم جامعة برلين. وفي ذلك الوقت كانت نظرته العمة للعالم قد بدأت تتشكل. ولقد تمسك ماركس بالأفكار الديموقراطية الثورية فأتخذ موقفا" يساريا" متطرفا" بين الهيغليين الشباب. وكما تم طرده من عدة أقطار بسبب نشاطاته الثورية حتى استقر أخيرا" في انجلترا.

ان كتاباته كانت تنصب بشكل واسع على الفلسفة، والاقتصاد، والسياسة، والتاريخ، ولم يفكر بنفسه كعالم اجتماع. ولكن عمله كان غنيا" بالقضايا الاجتماعية حتى وصف انه واحد من اكثر المفكرين بعلم الاجتماع الأساسيين.

ماكس فيبر ونظرية الفعل الاجتماعي

يعد ماكس فيبر (1864 - 1920) من اهم علماء الاجتماع الذين أثروا تأثيرا واضحا فى الفكر السوسيولوجى ، ويرجع نسبه الى اسرة المانية عريقة ، وكان ابوه سياسيا نشطا وظل لعدة سنوات فى البرلمان الالمانى ، وقد ورث عن والده هذه النزعة ، وكان طبيعيا ان يتجه "فيبر" الى دراسة القانون والاقتصاد وساهم فى كثير من الحركات السياسية واختير عضوا فى اللجنة التى وضعت دستور المانيا عام 1919م المعروف باسم (دستور فيمار) . والحق ان "فيبر" شغل مناصب جامعية مختلفة ، فقد عين استاذا للاقتصاد فى جامعة فرابيورج (1983م) ، ثم فى وظيفة مماثلة فى جامعة هايدلبرج. وفى سنة 1900م اصيب بانهيار عصبى حاد أقعده عن نشاطه الاكاديمى حتى عام 1918م حيث سافر الى امريكا عام 1903م ثم فيينا عام 1918 .

وترك "فيبر" العديد من الاعمال العلمية التى تناولت موضوعات متعددة ، وعلى اية حال سنتناول اسهامات "فيبر" فى الفكر الاجتماعى فى السطور القادمة ...ويقدم لنا "فيبر" مجموعة من تعريفات النماذج المثالية من اهمها :

ا- **العلاقة الاجتماعية** ، والتى تمثل سلوك يصدر عن مجموعة من الفاعلين، الى المدى الذى يكون كل فعل من الافعال اخذ فى اعتباره المعانى التى تنطوى عليها افعال الاخرين .

ب- **الجماعة المنظمة** ، تمثل علاقة اجتماعية من خلالها يقوم افراد معينون بمهمة تدعيم النظام فى الجماعة . ويطلق على الجماعة المنظمة التى يحكمها نظام معين يمتد فقط بحدودها الاقليمية الشرعية اصطلاح "الجماعة الاقليمية المنظمة" . وحين يخضع اعضاء الجماعة المنظمة الى ممارسة شرعية ترتكز على ضبط ملزم يطلق على هذه الجماعة اصطلاح "الجماعة السياسية" .

4- انواع السلطة :

ومن النماذج الشهيرة التى اقامها "فيبر" عن الانواع الثلاثة للسلطة ، فيذهب الى ان هناك ثلاثة انماط من السلطة الشرعية ، اى ان لكل منهما نوعا معينا من الادعاء بالشرعية .

النوع الاول :هو الذى اسماه بالسلطة العقلانية ويكون الاعتماد فى هذا النوع من السلطة على قواعد معينة يعتقد بها الافراد . وقد تتمثل هذه القواعد بنصوص دستورية وقواعد معينة شرعية يؤمن بها الافراد .

النوع الثانى :هو الذى اسماه بالسلطة الكارزمية ويعنى بها تلك الخصائص الغير طبيعية او الخارقة التى يفترض وجودها عند فرد ما سواء كانت هذه الصفات حقيقية او وهمية .

النوع الثالث :هو الذى اسماه بالسلطة التقليدية ، وهى التى ترتكز على الاعتقاد فى قدسية التقاليد وشرعية المكانة التى يحتلها اولئك الذين يشغلون الاوضاع الاجتماعية الممثلة للسلطة المستندة على التقاليد . فالسلطة الابوية وسلطة رئيس القبيلة وسلطة الامير او الملك على افراد شعبه تمثل انواعا مختلفة للسلطة التقليدية .

5- البيروقراطية: ينظر "فيبر" الى البيروقراطية بما تتميز به من صورية وتسلسل رئاسى وتقنين وباعتبارها شكل من اشكال التنظيم الاجتماعى يرتبط باقتصاد النقود والعقلانية اللذان يسودان العالم الحديث .

وقد حلل "فيبر" صفات البيروقراطية الحديثة وكيفية عمل الاجهزة الرسمية على النحو التالي :

ا- هناك مجالات محددة لعمل الجهاز البيروقراطى وهذه المجالات تحدد وتعرف بواسطة قواعد مقننة او منصوص عليها بالقوانين والتعليمات الادارية .

ب- هناك تدرج فى الوظائف بحيث تتدرج المسئوليات والسلطات بحيث يتكون نسق منظم من العلاقات العليا والدنيا ويكون الرئيس هو المشرف على اعمال المرؤوس الذى هو ادنى منه فى المسئولية والسلطة.

ج- ان ادارة اى منظمة حديثة تستند على المستندات المكتوبة والتى تحتوى على الوثائق او التعليمات الفرعية .

د- تعتمد الادارة على الخبرة والكفاءة وتشغيل المراكز الفنية .

ه- ان ادارة اى مؤسسة تستوجب وجود قواعد وتعليمات ثابتة او مستقرة نوعا ما والتى يسير بمقتضاها كا من يحتل هذا المركز .

6- القيم الدينية والتغير الاجتماعى (نظرية الاخلاق البروتستانتية):

لا جدال فى ان كتاب الاخلاق البروتستانتية لفيبر ، له مقام الصدارة فى علم اجتماع القيم فقد اهتم "فيبر" بوصف نسق جديد من القيم (الاخلاق البروتستانتية) كان فعالا فى القرنين 16 ، 17 ، وكيف ان هذه القيم قد شكلت نسقا اجتماعيا جديدا (الراسمالية الحديثة) .

ففى هذا الكتاب حاول "فيبر" ان يبين كيف ان القيم الدينية تدعم شكلا من الفعل الاقتصادى .

وفى هذا الكتاب ، كما هو الحال فى كتاباته المتاخرة ، فانه يعطى اهتماما للدين ، ليس على انه لاهوت ، ولكن على اساس انه مصدر للقيم ونسق للدافعية .

ويرى "فيبر" ان القيم تتحول فى الحياة اليومية الى اتجاهات توجه الحياة طبقا للمثل الدينية . ومن هذه القيم الدينية والاتجاهات ، تنمو الحركات الدينية كقوة ثورية ويحدث التغير الاجتماعى ، والحق ان "فيبر" ينظر الى الحركات الدينية على انها قوى دينامية ثورية فى التاريخ .

على اى حال ، فان "فيبر" قد طور تحليلا شاملا للطرق التى من خلالها اثرت انساق القيم على شخصية الفرد من ناحية وعلى البناء الاجتماعى من ناحية اخرى .

ولعل من اهم نقاط الضعف فى قضية "فيبر" ان الشواهد التى ساقها تدعيما لارائه كانت كلها مستمدة من التعليم الاجتماعى للطوائف البروتستانتية (ذلك التعليم الذى اختيرت عناصره من اعمال ارنست ترولتش عن الكنائس المسيحية وقيمها الاجتماعية) ولم تكن مستمدة من الفاعلين انفسهم . فقد اكدت الانتقادات التى وجهت الى "فيبر" ان كثيرا من رجال الاعمال البروتستانت كانوا منغمسين فى نشاطات اقتصادية تقليدية كالتجارة

المستغلة وقت الحروب والازمات ، والاشتراك فى الحملات الاستعمارية ، والمضاربات فى سوق الاراضى والاموال .

موضوع علم الاجتماع: هو العلم الذي يحاول أن يجد فهما" تفسيريا" للفعل الاجتماعي،من اجل الوصول الى تفسير علمي لمجرى هذا الفعل و آثاره.ويعرف الفعل الاجتماعي بأنه سلوك إنساني يضفي عليه الفاعل معنى ذاتيا" سواء كان هذا المعنى واضحا" ام كامنا".

وحدة التحليل :اعتبر ماكس فيبر أن وحدة التحليل الأساسية للمجتمع هي الفرد الفاعل وقد ميز فيبر بين أربعة أنماط أساسية من الفعل الاجتماعي هي:

1_ الفعل العقلاني:الذي يرتبط بهدف ما، مثل:القائد الحربي الذي يريد ان يحقق نصرا"ما،أو فعل مدير شركة لتحقيق الربح.

2_ الفعل العقلاني القيمي: الذي يرتبط بقيمة ما.مثل ما يقرره قبطان سفينة من ألا يدعها تغرق وحدها بل يغرق معها.ومثل:الدفاع عن الوطن.

3_الفعل العاطفي: مثل قيام الأم بضرب طفلها عندما يقدم على سلوك غير مرض.هذه الأفعال هي أفعال وجدانية أو عاطفية وليست أفعالا" عقلانية لأنها ليست موجهة الى هدف.

عوامل التغير الاجتماعي: ان العوامل الفكرية، وخاصة الفكر الديني ممثلا"في حركات الإصلاح، كسبب أساسي لتفسيره لظهور الرأسمالية، فقد ارجع ظهور الرأسمالية في غالبه للأفكار الدينية الجديدة، والتي حلت محل الأفكار والقيم القديمة، كما كانت ممثلة في الكاثولوكية، والتي كانت تعطل الفعل والتطور الاقتصادي، الأفكار والقيم البروتستنتية تضمنت حثا" على العمل والادخار،وتحرر الفرد،والفكر العقلاني، فتظافرت هذه لتكون أساسا"لظهور الرأسمالية.

وأدى هذا التحول الفكري في نظره لمجتمع مزدهر اقتصاديا"، عقلاني التفكير والفعل، تحكمه المؤسسية التي تتمثل في نظام بيروقراطي رسمي، وبهذا يمكن تفسير التغير الاجتماعي بالتغير في الفكر والنظام القيمي

عرف علم الإجتماع : (العلم الذي يحاول شرح وفهم الفعل الإجتماعي من أجل الوصول إلى التفسير السببي.

وتعريف ماكس فيبر يتضمن عناصر محورية :

1. محاور تفسيرية أو الفهم

2. التركيز على الفعل الإجتماعي أي على القيم الإجتماعية كنعصر أولي في توجيه السلوك.

3. محاولة صنع تفسير سببي لهذه الظاهرة .

كان ماكس فيبر مهتما بالفهم العلمي للسلوك الإجتماعي إذ اعتبره بؤرة علم الإجتماع .

نظرية الفعل الإجتماعي : متى يكون الفعل اجتماعي موجه نحو الآخرين عند فيبر ؟

1. إذا كان يراعي الآخرين (رد الفعل)

2. أن يكون له معنى ذاتي عند فاعله

مختلف من حيث مستوى الترشيد. بمعنى أن فيبر يعتبر أن الفعل الإجتماعي مختلف من حيث مستوى الترشيد (العقلانية)

ويرى ماكس فيبر أن للفعل أنماط متميزة للمعنى :

1. معنى مقصود واقعي للفعل الفردي الثابت وهو المعنى الذاتي .

2. مستوى الواقعية للفعل المقصود (أي المستوى المعياري للجماعة)

3. المعنى الملائم للصياغة العلمية الخاصة (مثل التجريد والنماذج النظرية)

ماهي شروط الأفعال (الفعل الإجتماعي) عند فيبر؟

نظرية الفعل الإجتماعي : هنالك أربعة أنماط من الفعل الإجتماعي

1. الفعل الإجتماعي الموجه بالتقاليد وهو أقل ألأفعال رشدا وهو السلوك التقليدي اليومي وهي أكبر نسبة الأفعال .

2. الفعل الموجه بالعاطفة : وهي ردود فعل غير منظبطه محركها الولاء العاطفي .

3. توجيه رشيد نحو قيم مطلقة أي فعل تحدده مجموعة محددة من الأخلاق والقيم مثل شخص يدافع عن أي أمر (لإيمانه بفعلها) فالمحرك هي القيم.

4. الفعل الموجه عقليا بالقيم والأنساق والغايات الفردية : وهو أعلى مجال في درجة الرشد ، (والرشد يعني العقلانية لأنه يبحث عن مصلحته الفردية واهتماماته) ، أي قيم خاصة مثل حب الظهور ، الكسب المادي ، فنجد المحرك هي المصلحة الفردية الخاصة .

يرى فيبر أن المجتمعات تختلف من حيث النزعة :

فإذا كانت النزعة الفردية عالية : تكون مخفض في ضبط القيم والتقاليد وعالي في النظام والقانون.

وإذا كانت النزعة الفردية منخفضة : تكون عالية في ضبط القيم والتقاليد .

بهذا يعني أن الفرد في المجتمع النزعة الفردية (المصلحة الفردية) عالية تجده لا يبالي بالتقاليد فهي منخفضة لديه ولا يهمه .

ومن هنا نرى تأثير القيم الإجتماعية أكثر من القانون في النزعة الفردية المنخفضة.

نظرية التغير :

- أكد فيبر في علم اجتماعه الديني أن المعتقدات الدينية هي القوى الدافعة للتغير الاجتماعي ، وأن الدين هي القوى الديناميكية الحقيقية للتاريخ .
- أقام ماكس فيبر نظريته في التغير على أساس نظريته في الفعل الإجتماعي
- أهم وجوه النقد التي وجهها ماكس فيبر على الماركسية هو أنها فشلت في التمييز بين ماهو إقتصادي بحت وبين ما هو له ارتباط بالإقتصاد.
- ويرى فيبر من خلال دراسته للأديان أن العنصر الفعال أو الديناميكي في النبي هو الإلهام. وكد فيبر سيادة الرجل الملهم وأن جوهر الشخصية عند فيبر هو فعل عقلي رشيد في خدمة الأهداف الأساسية ، ويصبح الإلهام عبارة عن شكل من الطاقة الروحية تؤدي إلى انبعاث مثل أخرى غير الموجودة في المجتمع الذي يظهر فيه الشخص الملهم.

الشخصية الملهمة : مبدعة تحمل قيم وتعتبر خيالية بالنسبة للواقع الإجتماعي وهي في صراع مع الرجل النظامي .

الشخصية النظامية : رجل محكوم بالأنظمة والقوانين .

سمات الشخصية الملهمة : تمل الإلهام، تضاد وتتصادم بشدة مع الحقائق اليومية ، فإما أن تصبح ثورية أو يتخلص منها المجتمع سريعا ، يحدث توتر بين القيم التي يتشربها الملهم والواقع اليومي يتصف بالحدة المتناهية.

يقرر فيبر أن ما يحدد وجهات النظر للحياة هو ما يرغب الانسان في أن يكون عليه أو ما يرغب الانسان الحفاظ عليه ، وتتضمن هذه الفكرة معارضة صريحة وهدما قويا لوجهة نظر الماركسية التي تقرر أنه ليس أدراك الناس هو الذي يعين معيشتهم ولكن معيشتهم الاجتماعية هي التي تعين إدراكهم.

الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية :

أراد فيبر أن يثبت تفاهة النظرية (الماركسية التي تدعي أن النظام الأقتصادي هو المحرك والمغير للحياة الاجتماعية .)

النظرية الرأسمالية :

كشف أن أثر السلوك الموجه بالدين على النظام الإقتصادي وإبتدأ بدراسة أثر ظهور الدين في المجتمع .

ويرى أن أول ما يصطدم الدين بظاهرة القرابة.

ويرى أن الإنتماء لطائفة دينية معروفة لدى المجتمع يعتبر ضمان مطلق للكيفيات الأخلاقية للرجل وخاصة تلك التي هي مطلوبة للأعمال وهذا يرجع إلى :

1. أن الطائفة متماسكة بالتقاليد الدينية ومن ثم لا تسمح بالإنضمام لعضويتها إلا بعد الإستفسار الدقيق عن السلوك .

2. إن عضو الطائفة إذا وقع في ضائقة إقتصادية نتيجة خطأ فإن الطائفة تنظم وترتب أموره وتساعده.

3. عضوية الطائفة تعني شهادة عن كفاءة أخلاقية وخاصة أخلاق الأعمال عند الفرد.

نظرية الطبقات

- يعتبر مفهوم فرص الحياة من المفاهيم الرئيسية والأساسية في تحديد الموقف الطبقي.
- يعتبر فيبر أن نظريته في الطبقات إستطاعت (مزج) بين النظريتين الإجتماعيتين (النظرية الذاتية والنظرية الموضوعية) لموضوع التدرج الطبقي .

النظرية الموضوعية عن التدرج الطبقي :البناء الطبقي يتكون من (مالك للأرض ، صاحب المشروع ، العامل) وهي تعني (الدخل الأقتصادي)

- وهو يجمع بين العوامل الإقتصادية والذاتية ويقول الشخصية :
- شخص لدية ترشيد في إستهلاك يؤدي عمل يصبح لديه دخل مادي ثم يستثمر هذا ثم يصبح لدية ثروة وهنا يحدث لدية حراك إجتماعي.
- ونستنتج أن الفرد الذي يتصرف بترشيد يحدث له حراك إجتماعي أي البدء من الفرد ذاته أولا، ولا تعني الثروة مباشرة .

النظرية الذاتية للطبقات :

- وضعت أهمية كبرى على السمات النفسية لأعضاء الطبقات الإجتماعية وهي محددات ذاتية (مثل الإحترام ، الشرف، الدرجة العلمية ، الوظيفية ، المكانة الإجتماعية ، التاريخ الأسري).
- تشكيل جماعة الطبقة يحدده الموقف الاقتصادي الذي يشارك فيه الجماعة وهذا يتشكل من تأثير الأفكار بين أعضاء الجماعة .

مفهوم الترشيد :

اعتبر كارل ماركس أن الاقتصاد الحديث لا عقلي أساسا للرأسمالية وهي تنتج من تعارض التقدم التكنولوجي الواعي لقوى الإنتاج وبين قيود الملكية الخاصة والربح الخاص ومنافسة السوق غير المنظمة ومن ثم يتميز النسق بفوضى الإنتاج .

بينما عملية الترشيد عند ماكس فيبر قوة ثورية هامة للتاريخ لا تقل أهمية عن القوة الثورية للإلهام. واعتبر أن الرأسمالية هي أعظم قوة ثورية في العالم الحديث تماما مثل ما في السياسة . وأعتبر البيروقراطية هي الشكل الفني الأكثر كفاءة عقليا . وأعتبر أن العوامل الروحية تلعب دورا في الإنجاز والإسراع بهذه العملية وهي عملية الترشيد العالمي

تالكوت بارسونز: (المحافظة على توازن النسق الاجتماعي):

ساهم بارسونز في تحول علم الاجتماع الامريكي من النظرية النفسية الاجتماعية (السيكوسوسيولوجية) ذات الصبغة الذاتية الى المنظور الشمولي المعادي للفردية والذي سيطر على علم الاجتماع في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فقد كان بارسونز أول عالم اجتماعي يطور نظرية متماسكة عن المجتمع بإعتباره كلاً متكاملاً، وذلك بالنمط الامبريقي السوسيولوجي بالمقابل للنمط السائد وهو النمط النظري.

واهتم بالنسق وأولاه مكانة هامة في تحليلاته وأهمل الفعل الاجتماعي، ويفترض بارسونز أنه يمكن تحليل المجتمعات بإعتبارها أنساقاً، وأن تواتر الفعل الاجتماعي يؤدي الى ظهور النسق الاجتماعي أو النظام الاجتماعي الذي تجتمع عناصره من بعد ذلك في عملية التوافق أو التوحد المعياري والرمزي أو التوحّد الثقافي، فحسب رأيه لابُد أن يفي أي نسق بأربعة شروط. وبعبارة أخرى لا بد لكي يعمل النسق أن يكون قادراً على حل اربع مشكلات أساسية وهو يسميها هذه جميعاً " المستلزمات الوظيفية " أو " المتطلبات الوظيفية " وهي لا تعمل فحسب في التنظيم الاجتماعي، بل تتعلق بالحاجات الشخصية لأعضاء المجتمع وهذه المشكلات أو الشروط هي : التكيف مع البيئة _ تحقيق الهدف _ الحفاظ على النمط وضبط التوت _ التكامل .

وهكذا فالنسق عنده كُلّ مكوّن من أجزاء تتشارك في قيم خلقية مشتركة تحقق التكامل الاجتماعي للنسق وتحافظ عليه، وتتحدد هوية كل عنصر من النسق بعلاقته بباقي العناصر، ونشأته واسهامه في بقائها. وتلك هي فكرة التساند التي يصل لها الأمر في النهاية الى التوازن الاجتماعي .

فحالة التوازن هي الإطار المرجعي الذي يتناول على أساسه بارسونز بالتحليل كافة عمليات النسق الاجتماعي، وهذا الدافع الى ايمانه الوظيفي بأن الحقيقة الكونية والانسانية هي حقيقة متوازنة. ويرتبط مفهوم التوازن بمفهوم النظام والتساند، حيث يشير هذا الاخير الى حالة من التوازن السوي ككل، وتعني حالة الفاعلية العادية أن النسق لديه ميلاً ذاتياً للحفاظ على التوازن بمعنى دعم النسق لأنماطه المتكاملة والمستقرة والمتبادلة والثابتة، فإذا حدث خلل أو انحراف في اجزاء النسق الاجتماعي فعلى هذا الأخير أن يتولى حله وعلاجه للحفاظ على التوازن من جديد.

ان الانحراف والتوتر والضغوط توجد كلها كعناصر تعويق وظيفي تميل الى ان تصبح ذات طابع نظامي أو الى أن تُحل في خضم الاتجاه نحو التكامل أو التوازن الاجتماعي، ولكن التغير لابدّ منه، بحيث يأخذ التغير الاجتماعي طابعاً توافقياً تدريجياً فإذا كان هناك تغير اجتماعي سريع فإنه يقع داخل النظم الثقافية أكثر مما يقع داخل النظم الاقتصادية. وينطوي كل تغير اجتماعي مهما كانت سرعته على ميل نحو ترك الاطار النظامي الاساسي على ماهو عليه، وفي هذا المقام كتب بارسونز في كتابه " النسق الاجتماعي " يقول:" اذا كنا نريد أن نتحدث عن نظرية في التغير، فلا بد أن يكون لدينا نموذج محدد يستعمل كإطار مرجعي في دراسة التغير".

ان عملية التغير هي امتداد لعملية التوازن الاجتماعي، وتأكيداً الى مايسعى اليه النسق من نظام فالنسق الاجتماعي يعتبر عالماً اجتماعياً لديه أساليب دفاعية ضد التوتر وسوء النظام والصراع.

الإنتاج العلمي ومؤلفاته :

1. بناء الفعل الاجتماعي.

2. النسق الاجتماعي.

3. المجتمعات .

4. نسق المجتمعات الحديثة.

نظرية بارسونز ذات أساس بيولوجي وظيفي بنائي:

- استخدم المنهج التاريخي والاستدلال والقياس المنطقي .
- ركز على الفعل الإجتماعي

هدفه : إيجاد نظرية منهجية عامة التنظيم الاجتماعي (للسلوك البشري) عن المجتمع

رؤية بارسونز للكائن الحي أنه صانع القرار.

يرى بارسونز أن للفعل الإجتماعي كي يحدث في ثلاثة حدود :

1. الفاعل .

2. عوامل موقفية (الموقف)

3. المعيار (الغاية)

ويلاحظ أن العاملين (المعايير ـ الموقف) هي التي تبرز حاجات النسق.

كما تعمل وظيفيا على فهم السلوك الانساني . وبهذا يكون بارسونز حاول تقديم نظرية عن (المجتمع والتطور الاجتماعي). كما جاءت نظريته ذات أساس بيولوجي وظيفي بنائي والتي تعتبر نسقية وتوازنية وتطورية. إستخدم المنهج التاريخي والإستدلالي والقياس المنطقي

الأسلوب الذي استخدمه ليوثق تطور المجتمع يتكون من المزاوجة بين الخطة النظرية و تقارير الحقائق التجريبية . وبهذا الأسلوب وصل بارسونز إلى نظرية بنائية وظيفية متقنة ومحمة للمجتمع ، وذلك من خلال التعريف البيولوجي للحقيقة الاجتماعية.

نظرية النسق الإجتماعي :

أولا : يعتبر بارسونز أن النسق الإجتماعي العام (يوجد بذاته)، أي أن المجتمع يمتلك واقع وحقيقة إجتماعية ، (فيرى أن النسق الاجتماعي له وجود مستقل بذاته كنسق إجتماع عن وجود الأفراد) أي أن المجتمع بناء وداخل هذا البناء أبنية صغيرة تتكامل .

ثانيا : يبرز البناء الإجتماعي أو الأنساق الفرعية عدد من الوظائف:

أهمها (التكامل والتكيف)

1. **التكامل :** أي أن النسق يعتمد على مجموعة من المعايير التي تربط الفرد بالمجتمع فينتج التكامل في المجتمع ككل.

وهو يعني أن النسق يعمل على تكامل الأفراد مع بعضهم عن طريق المعايير والعقوبات والجزاءات .

متى يحدث التكامل بين الأنساق ؟

يحدث إذا تحقق التوازن بين ثلاثة عناصر وهي :

أ. الوسيلة (المكانة والدور) مثل التاجر

ب. الأهداف الشخصية (المركز الإجتماعي، الأمان . شيئ يريد تحقيقه . يريد تحقيق الربح

ت. أهداف النسق (الهدف العام) الإنتاج أو النتيجة المطلوبة نمو النسق الإقتصادي.

بالتالي إذا لم يحدث التكامل الداخلي (داخل الإنسان) لا يحدث التكامل الخارجي لأنه عدم توازن داخلي لديه فكيف النتيجة يصبح عدم توازن في المجتمع.

2. المحافظة : يعني أن النسق يتضمن معايير وقيم لها عموميتها ، تؤدي إلى (المحافظة على نمط التفاعل داخل النسق ، فلا يخرج عن حدود النسق).

3. التكيف : النسق يتكيف مع الأنساق الأخرى داخل المجتمع بمعنى أن كل نسق إجتماعي عليه أن يتكيف مع البيئة الإجتماعية التي يوجد فيها . وأهم عمليات التكيف أن تتكامل الأنساق العامة مع الأنساق الفرعية الأخرى. متى يكون التكيف؟

إذا كان من صنع البيئة .

4. تحقيق الهدف (الوظيفة) : وهي أساليب الأفراد من أجل تحقيق الهدف (أثناء إشباع حاجاتهم) فهم يختلف من حيث مكوناتهم الشخصية ، والأفراد تختلف شخصياتهم فيختارون ألاسلوب والبدائل للحصول على الهدف.

وهذه البدائل عبارة عن خمس بدائل فنمط الشخصية يختار بينها سماها بارسونز (المتغيرات النمطية) وهي :

1. العاطفية في مقابل الحياد العاطفي

والعاطفية أي يسعى الفاعل إلى إشباع حاجته مباشرة

الحياد العاطفي : أي أن الموقف يجبر الفاعل على التخلي عن إشباع حاجاته.

2. المصلحة الذاتية في مقابل المصلحة الجمعية

يسعى وراء تحقيق مصالحه الخاصة ، أو تجبر الموقف الفاعل على أن يراعي مصالح الجماعة

3. العمومية في مقابل الخصوصية

العمومية وتعني القيم التي على درجة كبيرة من العمومية يشترك فيها أعضاء المجتمع لا تقتصر على جماعة معينة (مراعاة مصلحة المجتمع)

أما الخصوصية : المواقف التي يكون فيها الفاعل مشتركا مع غيره من أعضاء الجماعة الخاصة (الصغيرة) كالجيرة حيث لها قيمها الخاصة

4. النوعية في مقابل الأداء: النوعية هي التركيز على خصائص ومواصفات الشيئ حقيقة مواصفات الشيئ.

ويكون الأداء بالتركيز على فعل ما (لتحقيق هدف معين)

5. التخصص في مقابل الإنتشار

علاقة محددة مرسومة (يعني التخصص لا يوجد مايلزم على تجاوزها.

الإنتشار لا حدود أي أن المنفعة على إعتبار أ، تعمم تنتشر.

النسق الإجتماعي يتركب من أربعة أنساق فرعية :

1. نسق المشاركة المجتمعية أي تكامل المعايير .

2. نسق المحافظة أي تكامل القيم .

3. نسق السياسة. للحصول على الأهداف أو تحقيقها .

4. نسق الإقتصاد. وهو يستخدم للتكيف .

(يعتبر بارسونز أن أساس المجتمع هو الميل نحو التوازن أو الإنسجام .)

حسب رأي بارسونز أن البؤرة الرئيسية للنسق الإجتماعي هي التكامل الداخلي والتكامل المعياري وتصبح أسس المجتمع هي مستوى الإشباع والإكتفاء الذاتي بالنسبة لبيئتها.

النسق لا يمكن النظر إليه على أنه ساكن إذ يمتلك قدرة فائقة على التكيف والتطور والنمو بطريقة تؤدي إلى مزيد من تحقيق الهدف (أي حاجات جديدة).

فلفريدو باريتو:

ولد عام 1848 من أب إيطالي وأم فرنسية وقد تقلب في وظائف متباينة.

أهدافه: كان هدف باريتو الرئيسي تحديد وتفسير القوى الحقيقية التي تحدد حالة التوازن في النسق الاجتماعي، بمعنى البحث عن العوامل التي تعمل في النسق والعناصر التي ترد عليها من النسق وبذلك يتحقق التوازن، هذه النظرة تتضمن تركيزاً على الديناميكيات الاجتماعية للصراع والتغير، وتغض النظر كثيراً عن المواقف الاستاتيكية، ويقع وراء الصراع والتغير عناصر أولية تتعلق بالوحدات الصغرى وتتكون من حالات نفسية، وعقلية اجتماعية التي بدورها تحدد الفعل الاجتماعي والعمليات الاجتماعية، فنظريته معياريه واستقرائية وذات أساس طبيعي يظهر فيه فكرة الرواسب القائمة على الطبيعة البشرية، كعناصر أولية في فهم المجتمع.

الافتراض الرئيسي عند باريتو هو تقسيمه النشاط الاجتماعي إلى نمطين كبيرين:

(1) منطقي الذي فيه النهاية الموضوعية والغرض الذاتي متطابقان، بمعنى أن يستطيع الفاعل أن يحقق غرضه الذاتي بأسلوب موضوعي، وهذا يتطلب أن تكون الوسائل لتحقيق الهدف أيضاً موضوعية في إطار أفضل معرفة متاحة.

(2) النمط الثاني الذي فيه تختلف النهاية الموضوعية عن الغرض الذاتي.

واعتبر باريتو أن معظم كتلة النشاط الاجتماعي تتكون من الأفعال اللامنطقية المؤسسة على حالات نفسية (عواطف) وقائمة على الطبيعة البشرية مع غريزة التآلف، بمعنى غريزة التوليف بين الأشياء والأفكار وتكوين رواسب أو قوى اجتماعية.

واعتبر أن الأفكار اللامنطقية هي أسس لعدد من أنماط القوى أو الرواسب التي تحدد التوازن الاجتماعي، وتنقسم هذه الرواسب إلى ستة فئات:

1 – غريزة التآلف وهي تعمل على اندماج الأنواع المتشابهة، والأشياء والأفكار وتكون رواسب توجه الفعل الإنساني.

2 – الجماعات الدائمة مثل الأسرة والعلاقات الأسرية، والميل إلى المحافظة على هذه التجمعات.

3 – الحاجة إلى التعبير عن المشاعر بالأفعال الخارجية مثل الصلاة أو التصفيق عند الاستحسان.

4 – الرواسب المتصلة بالائتناس بالجماعات البشرية وهي تتعلق بالرغبة في التطابق مع الجماعة والامتثال لتقاليدها، ويدخل ضمنها الشفقة والقسوة والتضحية بالنفس.

5 – رواسب تكامل الفرد مع أقرانه، وتتعلق بالمساواة والتكامل، أي محافظة الفرد على عدم اغتصاب حقوقه مما يخفض من مكانته عن أقرانه، أو يخفض من قوميته بين القوميات الأخرى.

6 – رواسب الجنس، وهي غريزة عند الإنسان.

واعتبر باريتو أن هذه الرواسب أو القوى الاجتماعية تحدد الفعل الاجتماعي، والتوازن الاجتماعي.

واعتبر أن الرواسب يقويها اجتماعياً مشتقاتها التي ما هي إلا تبريرات عقلية للرواسب، فالمشتقات وظيفتها إفضاء المعقولية أو الرشد الاجتماعي، فإذا كانت الرواسب وراء السلوك الإنساني غير المنطقي في معظمه، فإن الحاجة الإنسانية إلى المنطق أي إلى إضفاء المعقولية على أفعالهم تدفعهم إلى هذه التبريرات أي إلى المشتقات.

ولقد صنف باريتو المشتقات إلى :

(1) التأكيد، أي ذكر حقائق واقعية أو متخيلة لتبرير العقل،

(2) السلطة، الاعتماد على مصادر لها هيبة وسلطة مثل أي نوع من العادات له سلطة لتبرير الأفعال من خلال ما تقوله هذه السلطة،

(3) التطابق مع المشاعر والمبادئ تبرير الأفعال لأنها تسر الآخرين أو تواسي الآخرين، أو تحقق مصالح الآخرين،

(4) براهين لفظية والتي تعني استخدام الألفاظ البلاغية أو الأمثلة الشعبية.

وهكذا تعمل الرواسب في الواقع الاجتماعي مستندة إلى مشتقاتها أو تبريرها أو ترشيدها المعياري.

واعتبر باريتو أن هذه الرواسب تتوزع في المجتمع خلال البناء الطبقي، وتعمل من أجل التوازن والتساند، وبما أن توزيع هذه الرواسب يتغير، وبصفة خاصة الفئتين (1) غريزة التآلف، (2) الجماعات الدائمة، على أي حال يتغير هذا التوازن في شكل من الدوران بين الصفوة الحاكمة والصفوة غير الحاكمة، التغير في توزيع الرواسب عند الصفوة الحاكمة بأن تمتص مزيد من العناصر المتدهورة، والصفوة غير الحاكمة تنمي بينها عناصر أكثر من النوع المتفوق، ذلك يصنع الثورة، وتؤدي إلى الدوران بين نوعين من الصفوة الحاكمة وتلك الأسود التي تحركها فئة الجماعات الدائمة، أي التي تتميز بالمحافظة، والذئاب التي تحركها غريزة التآلف، وتصبح دورية الأسود والذئاب مستمرة ودائمة، وتعتمد على تغير توزيع فئات الرواسب (1،2).

ذلك يعني أن الدورة عبارة عن الصفوة الحاكمة يغريها الحكم على امتصاص عناصر منحطة فتظهر عيوبها وتهتز مكانتها، بينما جماعة الذئاب تمتص عناصر مرتفعة، فترتفع إلى صفوة حاكمة، وبدورها يغريها الحكم فتمتص عناصر منحطة وليست بالضرورة من النوع الذي يؤدي إلى تدهور الأسود، لأن كل منهما تختلف رواسبه عن الآخر، وهكذا يكون المجتمع في توازن ديناميكي معتمداً على تغير توزيع الرواسب، التي تؤدي إلى استمرار المنافسة والصراع، وبالتالي دورة الصفوة.

ويلاحظ هنا أن باريتو قسم الصفوة إلى حاكمة وغير حاكمة، ومن ثم فمجموع الشعب ليس له وجود في هذه الدورة وجعل منه مجرد تابع، يستغله كل فريق، بل دعى باريتو الصفوة أن تحافظ على ما فيه الجماهير من جهل، وأن تستغل الخرافات التي تسود بين الجماهير الجاهلة، ولكن يجب أن لا تصدق الصفوة هذه الخرافات، بل أن تستغلها فقط للتغرير بالجماهير.

وهكذا نرى أن نظرية باريتو تقدم لنا نمطين من الصفوة الاجتماعية الأسود والذئاب، الأسود تسود بواسطة الراسب رقم (2) الجماعات الدائمة فلديهم مشاعر قوية بالولاء للتجمعات الدائمة مثل الأسرة والقبيلة والمدينة والأمة، وتتمثل في الصفوة العسكرية، وتركز على الولاء والتماسك والوطنية والمحافظة وتعتبرها القيم الأساسية، وهي مستعدة ومجهزة لاستخدام القوة عند الضرورة، وفي ظلهم يحدث الثبات للمجتمع أي تسود نزعة المحافظة.

أما الذئاب فهم عكس ذلك يتميزون بالراسب الخاص بغريزة التآلف، وهم غالباً رجال أعمال وماليين ويتميزون بالمغامرة، فيحدث التغير السريع في المجتمع، فلديهم القدرة على النمو المتزايد للإمبراطورية السياسية.

ومن ثم تعتبر نظرية باريتو طبيعية (الغرائز) نسقية (المجتمع) ديناميكية (دورة الصفوة) ذات اتجاه يميل نحو الصراع، وتختلف عن نظريات ماركس وبارك، في أنها طبقية أكثر منها اجتماعية، والاختلاف الرئيسي يكمن في اعتباره أن الظواهر المعيارية تحدد الظواهر المادية وليس العكس كما عند ماركس.

هدفه تحديد وتفسير القوى الحقيقية التي تحدد حالة التوازن في النسق الاجتماعي ، بمعنى البحث عن العوامل التي تعمل في النسق والعناصر التي ترد عليها من النسق وبذلك يتحقق التوازن. أي تفسير حالة التوازن في النسق الإجتماعية ، وهي تتضمن (التركيز على الديناميكيات الإجتماعية للصراع والتغير

نظريته :

الافتراض الرئيسي عند باريتو هو تقسيمه النشاط الاجتماعي إلى نمطين من من (الفعل) منطقي وغير منطقي.

1. منطقي : إذا كان له (هدف ، ووسيلة ، وبينهما إتفاق) ، (يرى أنه عندما تتطابق النهاية الموضوعية مع الغرض الذاتي في النشاط الاجتماعي) ويتطلب ذلك أن تكون الوسائل لتحقيق الهدف موضوعية

2. اللامنطقي : لا تقوم على هدف ولا وسيلة وهي تنشأ تحت تأثير العواطف وهي التي تتحكم فيه . واعتبر أن (معظم النشاط الاجتماعي) تتكون من الأفعال اللامنطقية ، بمعنى جعل أفعالنا تقع في اللامنطقي ، وتدعمها (الرواسب) وهي موجودة داخلنا لا نشعر بها ، وأعتبر أن الأفكار اللامنطقية هي أسس لعدد من (أنماط القوى أو الرواسب التي تحدد التوازن الاجتماعي) وتنقسم هذه الرواسب إلى ستة رواسب تحدد وتعمل من أجل التوازن الاجتماعي وسماها (القوى الإجتماعية) وهي تدفع للفعل الإجتماعي

1. غريزة جماعات التآلف تعمل على إندماج الأفكار المتشابهة ، فتتكون الرواسب (قوى إجتماعية) توجه الفعل الإنساني .

2. قوى الجماعات الدائمة : مثل الأسرة والميل للمحافظة على هذه التجمعات .

3. الحاجة للتعبير عن المشاعر بالأفعال الخارجية مثل التصفيق عند الفرح ، وعند الإستحسان ، والصلاة كشكر الله .

4. قوى الإستئناس بالجماعات وهي تتعلق بالرغبة في التطابق مع الجماعة والإمتثال لتقاليدها وتدخل ضمن التضحية بالنفس .

5. قوى تكامل الفرد مع أقرانه وتتعلق بالمساواة ليحظى الدخول والإنتماء في الجماعة مثل (التدخين) فيما يتماشى مع ميولهم فيجاملهم . مثل الشلل.

6. قوى الغريزة الجنسية وهي غريزة عند الإنسان.

وأعتبر باريتو أن (قوى الرواسب) يقويها وتقوم على (مشتقاتها) وهي تبريرات عقلية للرواسب لأن الرواسب وراء السلوك اللامنطقي فيحتاج إلى مبررات (مشتقات) فالمشتقات وظيفتها افضاء المعقولية أو الرشد الاجتماعي .

بمعنى الفعل يؤدي إلى رواسب (قوى داخلنا) هي أساس الفعل والتي تقوم على مبررات (مشتقات) وهي أشياء نستخدمها لدعم تبريرات عقلية للأفعال اللامنطقية التي نقوم بها مثل الكذب.

أصناف التبريرات (المشتقات)

1. التأكيد وهي ذكر حقائق واقعية أو تخيلة لتبرير العقل .

2. السلطة وهي الإعتماد على مصادر لها هيبة لتبرير الأفعال.

3. التطابق مع المشاعر والمبادئ وهي تبرير الأفعال لأنها تقوم على مصلحة الآخرين.

4. براهين لفظية مثل الأمثل الشعبية .

إعتبر باريتو أن أصناف وأنماط القوى والرواسب تتوزع في المجتمع خلال البناء الطبقي وتعمل (من أجل التوازن والتساند) لأن توزيع هذه الرواسب يتغير

خلاصة :

تختلف نظرية باريتو عن نظريات ماركس ، في أنها طبقية أكثر منها اجتماعية ، والاختلاف الرئيسي يكمن في اعتباره أن الظواهر المعيارية تحدد الظواهر المادية واليس العكس كما عند ماركس

انطونيوغرامشي ونظرية المثقف :

ان انطونيو غرامشي له اهميته في تاريخ الفكر العالمي المعاصر ، وكان جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية قد اعجب بافكاره الجديدة المنبثقة من حياة المجتمع ومضامين الواقع بعيدا عن المخيال الايديولوجي الذي توهمه الماركسيون وكتابهم ، علما بأن غرامشي قد ولد وترعرع ماركسيا .. ان نظريته في الهيمنة الغربية التي تبلورت على يديه لم تزل حية ترزق بكل اشكالها التي لم تزل تعاني منها المجتمعات غير الغربية .. انها هيمنة ذات كلمة واحدة ورأي واحد لا تقبل المحاورة ولا المجادلة فكيف تبيح لنفسها التنازل والاقرار بالخطأ ؟؟ ان غرامشي من الد خصوم الاستغلال الرأسمالي الكاسح ، وان ما يحدث حتى يومنا هذا يشير بما لا يقبل مجالا للشك ان الهيمنة لم تزل تحرك كل العالم ضمن ارادة واحدة ، كنت قد اسميتها بـ " الكابيتالية الجديدة) " أي : الرأسمالية الجديدة) ضمن ظاهرة العولمة الجديدة . ان غرامشي لا يمكن فهمه حتى اليوم ان لم ندرك ما يحيط العالم من ظروف مادية تاريخية .. ومن هنا ندرك قيمة نظريته عن المثقف العضوي ودوره في تغيير المجتمع . وغرامشي نفسه لا يمكننا فهمه وفهم افكاره ودفاتر كتبها في سجنه الا ضمن سياقه التاريخي والظروف التي عاشها وان ذلك يدعونا لموضعه اي مفكر او مثقف ـ على حد تعبير المؤلف ـ .

وقفة عند حياة غرامشي ونضاله

ولد غرامشي عام 1891 في سردينيا جنوب ايطاليا ودرس في جامعة تورين التي انخرط فيها عام 1911 ، وكان في العشرين من العمر .. نشر في الصحف الايطالية في الرابعة والعشرين وكان قد تأثر بموجة الفكر الماركسي وبدأ يدافع عن الشغيلة واوضاعهم المزرية على ايدي الطبقة الرأسمالية .. ثم انتسب الى الحزب الاشتراكي الايطالي ومن هذه اللحظة التاريخية بدأ نضاله المرير اذ تبدل اسم الحزب الى الحزب الشيوعي بعد ذاك . كان غرامشي رقيقا ويتفجر عاطفة مع حس انساني عالي المستوى ، واخذ يدافع عن حقوق العمال المسلوبة .. وكان يأمل ان يتحول التمرد العمالي عام 1917 الى ثورة عارمة ، ولكن باءت احلامه بالفشل وهو يسمع بانتصارات ثورة اكتوبر الاشتراكية التي هدّت الصرح الروسي وانتهاء حكم القياصرة . وكان غرامشي قد تأثر بكتابات الفيلسوف أنطونيو لابريولا1904 -1843 : ، أهم الماركسيين الإيطاليين الأوائل كان له تأثير جوهري في فكر غرامشي الفلسفي .

يتابع هذا الكتاب سيرورة غرامشي بكل دقة قبل مرحلة السجن والنضال في داخله ، بل ويراقب ما نشره من مقالات لا تعد ولا تحصى وكلها دعوة الى مشروع تثقيف العمال سياسيا وفكريا من اجل تنظيم المجتمع الايطالي واثارة الوعي لدى الطبقة العاملة .. كان يدعو ليل نهار الى بناء ثقافة اشتراكية حديثة ، وقال بأن ذلك لا يتم حصوله الا بتغيير الحزب وانتقاله من الاصلاحية الى الثورية من اجل تفجير الثورة الشاملة ، وهنا يبدو تأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية واضحا عنده ، كونه اعتقد ان وصول البروليتاريا الى الحكم والسلطة ، فان المجتمع سيتغير لا محالة ابدا ، والا فان الرأسمالية وشرور سلطتها ستأكل كل الحياة بفرض ارادتها .

لقد تبدل الحزب الاشتراكي واصبح الحزب الشيوعي الايطالي يوم 21 يناير 1921 ، وغدا غرامشي سكرتيرا عاما له . هكذا اصبح هذا الفيلسوف الماركسي مرجعا مثقفا وعضويا لكل الحركة اليسارية الايطالية ، وقد انتخب نائبا عن مدينة تورين بين عامي 1924- 1926 ، وهكذا اسس جريدة الوحدة الناطقة باسم حزبه .. كان غرامشي قد جمع الثقافة بالسياسة وجمع القيادة بالنضال .. وهذا ما لم يتح الا للندار من المثقفين .. لقد القى الفاشيون القبض عليه عام 1926 بتهمة التآمر على امن الدولة ، وبقي مسجونا حتى عام 1937 ، وما ان خرج من السجن حتى مات بعد ايام قليلة بسبب تدهور صحته وبسبب زمن العذاب المرير الذي غيّبه وهو في عز شبابه على عهد موسليني الفاشيستي (ص 69 من الكتاب) . ان اكثر من عشر سنوات قضاها غرامشي

في سجنه تعد وصمة عار للنظام الفاشي في ايطاليا ، وهو يسجن مفكر ملتزم ذكي ولم يعّبر الا عن الام شعبه ومعاناة كل المثقفين والعمال والفلاحين والكادحين .

مفاهيم غرامشي

لقد كتب غرامشي اغلب تأملاته وفلسفته وافكاره الناضجة في السجن والتي نشرت بعد ذلك وكان جلها قد كتبها في (دفاتر السجن الاولى) و (دفاتر السجن الثانية .. (انها تربو على ثلاثين دفترا والتي تضمّنت اراءه عن المجتمع الايطالي ، وتفكيره في النظرية الماركسية وعوامل التغيير للواقع ، واحكامه في الادب والنقد وتربية الاجيال .. ان ابرز المفاهيم التي التصقت به وعرفت عنه حتى اليوم : مفهوم الهيمنة الثقافية ، ومفهوم المثقف العضوي ، وكيف يتم التمييز بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني وشروط التغيير من اجل الاشتراكية .. كما وعرف بنظريته : الحتمية الاقتصادية ونقده للفلسفة المادية ، وهنا يشبه كثيرا المفكر الماركسي الروسي بليخانوف الذي قدّم بدوره هو الاخر نقدا للماركسية . ان غرامشي يفسر الهيمنة الثقافية اقسى بكثير من الهيمنة الاقتصادية ، فالثقافة البرجوازية المسيطرة يتبنى الجميع افكارها بالضرورة ، وخصوصا الطبقة العمالية وتتلبس تصوراتها ، فتغدو الهيمنة ثقافية وفكرية وليست مادية فقط . وعليه ، فان الطبقة المهيمنة هي التي تتحكم بكل المجتمع من دون ان يعارضها احد (ص 102 من الكتاب) . تحت عنوان "مشكلات الماركسية " يشير غرامشي إلى أن ماركس أبدع رؤية جديدة للعالم ، وأنه لا يكفي اعتبار الماركسية "شكل تفسير " للتاريخ فحسب ، بل مطلوب تطوير وبناء تصور أنطولوجي للعالم ، نابع ومرتبط عضوياً بالتفسير التاريخي .

مشروع المثقف العضوي

اما مشكلة المثقفين فهي اساسية وجوهرية ، اذ يرى غرامشي ان كل البشر مثقفون بمعنى من المعاني ، ولكنهم لا يملكون الوظيفة الاجتماعية للمثقفين ، وهي وظيفة لا يمتلكها الا اصحاب الكفاءات الفكرية العالية الذين يمكنهم التأثير في الناس .. ومن هنا يستخلص الفارق بين المثقف التقليدي والمثقف العضوي .. الاول يعيش في برجه العاجي ويعتقد انه اعلى من كل الناس ، في حين ان الثاني يحمل هموم كل الطبقات وكل الجماهير وكل الفقراء والمحرومين والكادحين .. وعليه ، فان المثقف الحقيقي هو المثقف العضوي الذي يعيش هموم عصره ويرتبط بقضايا امته .. ان اي مثقف لا يتحسس الام شعبه لا يستحق لقب المثقف حتى وان كان يحمل ارقى الشهادات الجامعية

يكتب غرامشي : "يبدو لنا أكثر الأخطاء شيوعاً ، هو البحث عن معيار التمييز في الطبيعة الجوهرية لأنشطة المثقفين ، بدلاً من البحث عنه في مجمل نسق العلاقات الذي تجري فيه هذه الأنشطة " ثم يردف المؤلف قائلا: " إن نظرية الهيمنة لدى غرامشي لا تنفصل عن مفهومه للدولة الرأسمالية التي يقول عنها بأنها تقود المجتمع عن طريق القوة وعن طريق التراضي في ذات الوقت ". اما الدولة في رأيه فليست هي الحكومة ، انها المجتمع السياسي حكومة وبوليس وجيش ومنظومة قانونية .. ومجتمع مدني يضم الافراد ومجالاتهم الاقتصادية . الاول يسير بطريق القوة والثاني يسيّر بالتراضي .. وهو يرى بأن الرأسمالية الجديدة عرفت كيف تلبي بعض الاصلاحات متجاوبة مع مطاليب النقابات والعمال خوفا من ان تأكلها الثورة الشاملة ضدها ، فحافظت على مكانتها في قيادة المجتمع من دون ان تخسر شيئا .. انها ذكية جدا اذ التفت على اطروحة كارل ماركس التي تنبأت بانهيارها من خلال الثورة الشيوعية الشاملة عندما تصل البروليتاريا الى حد الجوع ، وهذا ما لم تجعله يحصل (ص 123 من الكتاب ! (

يرى غرامشي ان الحزب الثوري هو وحده القادر على تكوين طبقة جديدة من المثقفين العضويين المرتبطين

بهموم الناس وقضايا العمال والفلاحين . ان هؤلاء المثقفون العضويون يمكنهم ان يشكلوا هيمنة بديلة عن الهيمنة الرأسمالية . ومن هنا نستطيع القول ان غرامشي هو الوحيد الذي اعتقد بأهمية المثقفين ودورهم في التغيير اذ كان يؤمن بانهم قادرون على صنع المعجزات اذا ما التزموا بقضية الشعب الاساسية التزاما عضويا وحيويا ويكمل غرامشي قائلا : " ان البورجوازية تخشاهم وتعرف أن نفوذهم كبير ولذلك تحاول أن تشتريهم بأي شكل) " ص 139 من الكتاب . (

واخيرا : ما الذي افادنا هذا " الكتاب " ؟

هذا "الكتاب " لا يأتي بمعلومات جديدة ، بل انه يتضمن رؤية من نوع خاص للفيلسوف المناضل انطونيو غرامشي ، وهو كتاب متميز بفصوله الستة ويقدم تحليلات ممتازة للافكار التي بشّر بها غرامشي ، بل ويجد المؤلف اننا حتى يومنا هذا بحاجة الى فكر غرامشي وخصوصا في الوقوف امام الهجمة الرأسمالية الجديدة التي لا يمكن ان يخفف من اكتساحها الا اولئك المثقفون الذين ارتبطوا عضويا بمجتمعاتهم . ان المثقف الحقيقي والعضوي اليوم هو عملة صعبة وصعبة جدا ، اذ يكاد يختفي في خضم اولئك المثقفون التقليديون من طرف واغلبهم رجال دين وموظفين ومهنيين وحرفيين وكتبة .. الخ واولئك المثقفون السلطويون من طرف آخر واغلبهم من الكتبة والاعلاميين والصحفيين والفنانين والمحررين التابعين للسلطويين .. وهنا لابد من الاعتناء بالمثقفين الحقيقيين العضويين الذين يمكنهم ان يكونوا باعمالهم وابداعاتهم ونضالاتهم وترجمة معاناة مجتمعاتهم البديل الحقيقي .

Steven J. Jones, Antonio Gramsci,(New York, Routledge Criticak Thinkers, 2006-2007).

4/الاتجاهات النقدية في علم الاجتماع المعاصر

المحتويات :

- **الماركسية الجديدة وعلم الاجتماع**
- **مكان علم الاجتماع من النسق الماركسي**
- **قضايا الطبقات الاجتماعية وادوارها في التغيير**
- **الوعي بالواقع والوعي بالممكن بين (لوكاش) و(جولدمان)**

ثمة مسميات كثيرة ظهرت في السنوات العشر الاخيرة للاتجاهات المعاصرة في علم الاجتماع ،منها الاتجاه الراديكالي ،والاتجاه الماركسي الجديد ، والهيجلي الجديد، واليسار الجديد .وبينها جميعا تباينات في المنطلق النظري ، او رفض التنظير القائم، على ان الملمح المشترك بينها جميعا هو بروز عنصر النقد كعنصر اساسي في محاولة تجديد علم الاجتماع وتحريره. ويتراوح هذا النقد ما بين نقد فكرة او مفهوم او قضية نظرية، أو خاصية نوعية في ظاهرة او عملية اجتماعية، وبين رفض كل التنظير القائم، والبحث عن اخر جديد، ويتراوح ايضا بين رفض ظاهرة او مجموعة من الوقائع، وبين رفض النظام القائم برمته ،ويدلل على هذا ان بعض الباحثين في علم الاجتماع يعتبرون انفسهم راديكاليين مثلا لمجرد انهم يخالفون الاتجاه العام السائد في الفكر السوسيولوجي او في منهج البحث. والبعض الاخر يعتبر ان التعبير عن المعارضة – أخلاقيا-للسياسات الاقتصادية كاف لتصنيفهم راديكاليون. وهناك اخرون يرون ان اي موقف نقدي من النظم الاجتماعية يعتبر موقف راديكالياً حتى ولو كان هذا النقد لايؤدي الى اكثر من الدعوة لمجرد احداث بعض الاصلاحات التكنوقراطية. ولهذا يرى من اهتم بالاتجاه من الكتاب العرب ان يقتصر تعريف الراديكالية على الموقف النقدي من المسلمات والاسس التي تنهض عليها النظريات السوسيولوجية التقليدية وما يرتبط بها من مناهج، وأيضا من الأسس التي تنهض عليها النظم الاجتماعية، مع تقديم مسلمات بديلة وتصورات لنظم بديلة، على ان يتم هذا على أساس التحليل العلمي والشواهد التاريخية والأدلة الامبريقية. وهذا التعريف يتفق تقريبا مع المعني الأكثر استخداما للراديكالية. ففي دائرة معارف العلوم الاجتماعية تحدد الراديكالية بوصفها مركبا متفاعلا لمكونات ثلاثة يتمثل الأول وهو الأكثر أهمية في وجود موقف أو اطار فكري نحو نظام محدد في مجتمعمن المجتمعات أو نحو النظام العام social للمجتمع في كليته وشموله. ويتركز الثاني في وجود فلسفة محددة وبرنامج عمل للتغيير الاجتماعي يضع في حسبانه التبديل لكل ماهو قائم واستبدال غيره به. وأما المكون الثالث فيؤكد ضرورة تحديد الأهداف والمفهومات من خلال تصورات ديموقراطية وانسانية تعلى العام والخاص والمجموع على الفرد. وهذا التحديدان السابقان يساعدان في استخلاص عدد من الأمور الهامة:

-1ان ليس كل محاولة نقدية -مهم كانت حدودها ومبتغاها –تعد راديكالية ،وان كان اي موقف راديكالي يتضمن النقد بالضرورة.

-2ان علم الاجتماع الذي تكتمل مقوماته، لايمكن -علميا وموضوعيا-الا أن يكون راديكالياً، فالاطار التصوري ، والموقف من الواقع القائم والرغبة في التغيير ،في ضوء تغليب العام على الخاص والاجتماعي على الفردي ،هي جوهر علم الاجتماع.

-3وان التعرف الحقيقي للتنمية-في ضوء معنى التنمية وتوجهاتها العلمية –لايمكن ان يكون تعريفا راديكاليا .فلا توجد تنمية حقيقية غايتها المحتفظة على اوضاع التخلف كلها أو حتى بعضها.

-4وثمة نقطة اكثر اهمية بالنسبة للعمل الراهن ، وهي انه مادامت الجهود النقدية المعاصرة لم تطرح بديلا نظريا لما هو قائم في تراث علم الاجتماع. فمعنى هذا ان احد شروط تحديد الراديكالية قد سقط ، وبالتالي يعد التفاعل بين مكوناتها الثلاثة المذكورة ناقصا ، الامر الذي يجعل الجهود القائمة نقدية حقيقية ، لكن اما تمسكت بالماركسية قديمة او حديثة ،او طالبت بالافادة منها مع غيرها من النظريات، كما هو الحال فيما يمكن تسميته بالتيار النقدي الليبرالي ،الاكثر جنوحا نحو اخذ موقف على يسار النظرية الليبرالية التقليدية المتمثلة في الوظيفية .ولهذا يعتبر تعبير راديكالية تعبيرا مجازيا لفظيا اكثر من انه اشارة الى موقف سوسيولوجي نظري متكامل العناصر. ويصبح الاصطلاح مقبولا فقط اذا قصد به اجرائيا الجهود القائمة – الماركسية الجديدة والنقدية بوجه عام-. ونظرا لان العمل الراهن يركز على الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع فلن تهتم قصدا بالاراء الواردة المتناثرة هنا وهناك ،والتي لاتشكل ملامح اتجاهات اساسية نقدية حتى ولو صنفت-لفظيا- على انها راديكالية. وأما الماركسية الجديدة Neo-marxist فهي بالاساس تنطلق من الاطار التصوري والمنهجي للماركسية ،وايضا من القوانين العامة للتطور الاجتماعي وتأتي حداثتها من انها تعيد قراءة الماركسية، محاولة توضيح مسارات عمل القوانين النوعية للتطور الاجتماعي، ومن خلال المعطيات الجديدة –تفصيلا-التي يفرزها الواقع الاجتماعي المتغير في هذا المجتمع او ذاك ونظرا لاستلهامها للاساس المعرفي والايديولوجي العام للماركسية فهي ايضا رافضة، ساعية للتغيير. وهذا يعني ان كل موقف ماركسي جديد يعني بالضرورة موقفا نقديا أو راديكاليا، وان كان كل موقف راديكالي لايعني أن صاحبه ماركسي جديد فقد تكون له فلسفة مغايرة في التغيير بعد البحث والفهم.

الماركسية الجديدة وعلم الاجتماع

مع أن اصطلاح ماركسية جديدة ليس محببا لدى عدد غير قليل من الماركسيين، لانهم سيقولون لك على الفور: إما أن يكون الفكر ماركسياً أو لا يكون، وإذا استمر اصرارك فسيقال لك: إما أن تكون ماركسياً على الفور أو تحريفياً، ومع أن الاجابة على سؤال ما هي الماركسية الجديدة، وبالتالي ما هو الماركسي الجديد؟ تعد هامة علمياً واخلاقياً، لأنها اجابات تساعد في تحديد الفرق الموضوعي بين التجديد والتحريف في هذه النظرية، ولأن المبالغة في الجانب الاول قد تنقل الناقد للجانب الثاني –التحريفي-ولو بحسن نية مع هذا يستخدم الاصطلاح ويتكرر استخدامه مع أننا لم نلحظ اجتهادات محددة واضحة –في حدود ما أتيح- على هذا الطريق ويرجع هذا الى تعقد الموقف واختلاط كثير من جوانبه. فليس كل ناقد مهاجم للمجتمع البورجوازي ولعلم الاجتماع البورجوازي يعد ماركسيا جديداً، وليس كل ناقد للماركسية مؤكد انه متمسك باطارها وقضاياها العامة ماركسيا جديداً. وأحيانا يبالغ البعض بوجود عدة صور واشكال للماركسية. منطلقا من اختلاف تجارب التطبيق بين الصين وكوبا ويوغسلافيا مثلاً كما فعل ألفن گولدنر في كتابه ("الأزمة المقبلة لعلم الاجتماع الغربي"، 1970) حتى الحدود بين ما هو ماركسي تقليدي –إن جاز التعبير-وبين الماركسي الجديد أصبحت غامضة ومختلطة من كثرة ما أثير حول هذا التوجه، حتى أن من يصنفون على انهم ماركسيون جدد من قبل آخرين لم يصنفوا هم أنفسهم كذلك على اعتبار أنه لا توجد نظرية نهائية تماماً، فالواقع يتغير دوما وحدود المعرفة تواصل اتساعها، والأساس في أية نظرية علمية استيعابها للحقائق الجديدة. وإلا تحولت إلى بناء سكوني جامد منفصل عن الواقع. ومعنى هذا أن قدرة الماركسية على استيعاب ما يستجد لا يسم الجهود المستندة إلى اطارها بأنها جديدة. ولهذا سأحاول تقديم تعريف اجرائي للماركسية الجديدة ييسر خطة السير، ويمكن مناقشته في آخر التناول من خلال دراسة بعض القضايا التي تصنف على أنها تنتمي للماركسية الجديدة وهذا التعريف يرى:

-1أن الماركسية الجديدة تسلم ابتداء بمفهومات الماركسية ومنطقها المنهجي والقوانين العامة التي توصلتاليها كما وضحها روادها المؤسسون.

-2أن الماركسية الجديدة تنطلق من الحقائق الجديدة التي يفرزها الواقع او بعبارة اكثر دقة تتعامل مع القوانين النوعية للتطور الاجتماعي.

-3أن الماركسيين الجدد يمكن ان يكونوا كل من التزم بالبندين الاولين وأتى بعد الرواد المؤسسين وقدم اسهاماً على طريق فهم المعطيات والحقائق الجديدة بشرط الايخرج عن الاطار العام المعرفي والايديولوجي

للنظرية. وفي ضوء هذا التعريف تم استبعاد كل من لا تنطبق عليه أبعاده وشروطه. وتجدر الاشارة الى ان نشأة هذا النمط الفرعي من الفكر الماركسي أتى استجابة لوجود تجارب ناجحة لتطبيق الماركسية في الدول النامية وبصفة خاصة يعد ظهور أناس من أمثال ماو استطاعوا أن يغيروا واقع مجتمعاتهم. وإذا كان الماركسيون الجدد يتميزون –تعريفا-عن الماركسيين التقليديين الذين يرون أنه لم تحدث في العالم تغيرات كافية تقتضي اعادة النظر في أسس الماركسية فانه يمكن التمييز في صفوف الجدد بين رجال التنظير والفكر أمثال باران Baran وسويزي Sweezy وماگدوف Magdoff وفرانكFrank ، وبين رجال الفكر والممارسة أمثال ماو وكيم إيل سونج وفانون.

وفيما يلي بعض القضايا التي أثيرت من قبل أنصار من يعدون توجههم ماركسياً جديداً. وسوف نحاول الاشارة اليها من خلال امثلة محددة أظن أنها أكثر تكراراً من غيرها، حتى يتسنى بعد ذلك الوقوف على أهم الملامح المميزة لهذا الاتجاه:

-1مكان علم الاجتماع من النسق الماركسي

من ابرز القضايا التي أثارها المشتغلون بعلم الاجتماع الذين ينطلقون من الماركسية قضية العلاقة بين علم الاجتماع والنسق الفكري الماركسي، على اعتبار ان ماركس نفسه رفض استخدام مصطلح sociology الذي صكه أوجست كونت ولم يأت هذا الرفض تقليلا من أهمية العلم ودوره، وإنما من بنائه ومضمونه وتوجهاته ووظائفه كما كانت سائدة أيام ماركس ،فضلا على رغبته في دحض تجزئة الواقع وتفتيته من خلال علوم اجتماعية جزئية، تهدم الصورة البنائية الكلية. وإذا كنا هنا لسنا بصدد مناقشة هذا الموقف، فالمهم انه افضى الى طرح عدد من التساؤلات وردود الافعال حول العلاقة بين المادية التاريخية وعلم الاجتماع، هل تعد هي بذاتها علم الاجتماع؟ أم ينظر إليها بوصفها اطاره النظري الذي يوجهه؟ وفي كلتا الحالتين ماهي وظيفة علم الاجتماع العلمية والمجتمعية؟

أتت الاجابة على هذه التساؤلات متباينة فقد رأى البعض ان المادية التاريخية في جوهرها نسق سوسيولوجي، وبالتالي يجب فصل المادة التاريخية عن بقية مكونات النسق الماركسي، ورفض بعض ثان هذه الوجهة من النظر مطالبا بأن تكون المادية التاريخية الاساس النظري والمنهجي للعلم، وبالتالي تكون هناك حاجة الى خلق علم اجتماع جديد، أو حتى عدة علوم اجتماع –فروع لعلم الاجتماع على الطريقة الأمريكية –تتوازى مع المادية التاريخية وتستند اليها في الوقت نفسه، وثمة بعضٌ ثالث رأي وجوب فصل المادة التاريخية عن مكونات الماركسية، ثم التمييز بين الجوانب الفلسفية والسوسيولوجية في النظرية. ومع

وجود هذه المحاولات فإن الاصل في التمييز بينها ليس المواقف الشخصية وإنما الاطار الاساسي للفكر الماركسي نفسه فمثلا ذهب (لينين)الى ان المادية التاريخية مكون اساسي من مكونات الماركسية، لايمكن عزله وفصله إلا لأهداف الفهم والدراسة، وهي-المادية التاريخية –كل لا يتجزأ يمثل النظرية السوسيولوجية الاساسية لعلم الاجتماع العلمي. واذا وضعنا مثل هذا التحديد في الحسبان، فإننا نجد ان المحاولات المختلفة كان الكثير منها اقرب الى التحريف منه الى التجديد.

لقد بذلت محاولات ولاتزال تبذل اخريات لتجزئة النظرية، توطئة لصناعة توليف جديد يفضي إلى اذابة هذا الفكر في غيره من صنوف الفكر الغربي . وهذه مسألة اتصور ان بعضا ممن اطلقوا على انفسهم حينا (ماركسيون جددا)اسهموا فيها بوعي اوبلا وعي . على ان التصور الماركسي الجديد يؤكد على ضرورة الاهتداء بالمادية التاريخية لقيادة البحوث السوسيولوجية وتوجيهها موضوعا وتصميما، مع الافادة من الاساليب الفنية البحثية التي توصل اليها العلم، مع ملاحظة أن لا يمسخ علم الاجتماع الى نوع من السيكلوجيا او الى دراسات جزئية، بل لابد ان يكون علما بنائياً، له توجهات مستقبلية، وتكون مهمة البحث ساعية الى اثراء النظرية وتطويرها، بما يجعلها أكثر قدرة على استيعاب الوقائع والمعطيات الجديدة. وهذا لا يأتي إلا بالتخطيط لدراسة القضايا البنائية والظاهرات المجتمعية، النوعية والعامة، المحلية، العالمية.

-2قضايا الطبقات الاجتماعية وادوارها في التغيير

يبدأ الماركسيون الجدد تناولهم لمسائل الطبقات الاجتماعية بالتأكيد على ان ماركس اكسب التصور العام للطبقة الاجتماعية معنى سوسيولوجيا فتصوره ليس استاتيكيا سكونيا كما فعل السابقون عليه كما انه جعل من الطبقة مقولة تحليلية وتفسيرية لكثير من الظاهرات الاجتماعية فضلا عن تحديده لها تحديدا موضوعيا من خلال موقعها من نظام الانتاج ،والتنظيم الاجتماعي للعمل، ولم يقع في منزلق تحديدها من خلال مؤشرات لاحقة لوجودها، وبصفة اساسية ومع التسليم بالاطار العام النظري والمنهجي للماركسية في تناول المسائل الطبقية، فالبعض يرى بأن ماركس نفسه لم يضع تعريفا للطبقة فالتعريف الشائع هو ذلك الذي صاغه (لينين) والذي رأى فيه الطبقات (جماعات من الناس تحتل مواقع متماثلة –نسبيا-في نظام الانتاج الاجتماعي ...الخ) وذلك لان ماركس في الجزء الثالث من رأس المال عنى بمحددات الطبقة فقط. ويحاول البعض ايضا ان يشير إلى أن تقسيم (ماركس) للطبقات حصرها في اثنتين اساسيتين –المستغِلة والمستغَلة –دونما اهتمام بتفصيلات وحصر للطبقات في المجتمعات المعاصرة . وأما النقطة الاخيرة فتتعلق بمسألة الدور الثوري للبروليتاريا وهي مسألة اصبحت من وجهة نظر البعض بحاجة الى اعادة نظر، خاصة بعد التطورات التى طرأت على الطبقة العاملة في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة، وبعد الحقائق التي افرزتها

التجارب النوعية لبعض المجتمعات ، كالصين مثلا حين اضطلع الفلاحون بدور الثوري، وليس البروليتاريا. هذه اهم القضايا التي أثارها عدد من الماركسيون الجدد، الذين من بينهم على سبيل المثال وليس للحصر هربرت ماركيوز وفرانز فانون وربحي ديبري؟ ويشترك ثلاثتهم في اعادة تقويم الدور الثوري للطبقة العاملة فماركيوز يشكك في مقدرتها على انجاز الفعل الثوري نتيجة للحراك الذي طرأ عليها في المجتمعات الصناعية المعاصرة، كالمجتمع الامريكي، لذلك علق حدوث الدور الثوري على جهود جماعات اخريات كالملونين والمتعطلين، أو المضطهدين بصفة عامة، كما حاول فانون ان يبرز الدور الثوري للفلاحين وليس دور الطبقة العاملة، محاكيا في هذا ماسبق ان اسهم به ماوتسي تونغ في نظرية الطبقة الاجتماعية.

-3الوعي بالواقع والوعي بالممكن بين (لوكاش) و(جولدمان)

في تصويره لعلم الاجتماع يشير جولدمان الى انه بقدر مايقتصر علم الاجتماع على دراسة الصور والاشكال الاجتماعية ،فإنه يعجز عن فهم المجتمع وتقديمه لنا . وتجدر الاشارة إلى أن لوكاش وجولدمان لا يدينان جميع الاحكام التي قدمها العلم البورجوازي ذلك لان ثمة احكاما تقويمية قدمتها البورجوازية التقدمية في نضالها ضد الاقطاع، مثل الحرية، لكنهما يريان معا ان علم الاجتماع هو علم الكليات الاجتماعية، في جوهرها وديناميا‌تها، ولهذا فافتراض وجود بناءات ثابتة لايقل خطأ عن التوجهات التجزيئية في العلم البورجوازي. فالبناء الاجتماعي هو دائما عملية دينامية للبناء والهدم وهذا يقتضي اعادة النظر دوما في النماذج النظرية والاطر التصورية. وفي هذا اقتراح في بحثه (الجدل اليوم) تغير مفهوم الرأس مالية الى الامبريالية لدى لينين وروزا لوكسمبورج، وهذا الاخير يجب ان يعدل لكي يعكس الطبيعة المنظمة للرأسمالية العصرية المتقدمة. اعتبر لوسيان جولدمان أن تطوير جورج لوكاش لمفهوم الوعي ممكن هو اسهامه الاساسي في علم الاجتماع، فهو أكثر من غيره من المفهومات، يعد نقطة ارتكاز منهجية جدلية للبحث السوسيولوجي لهذا اعتبر (جولدمان) الوعي عملية دينامية ومحافظة في الوقت نفسه، فهي دينامية عندما يحاول الانسان مد نشاطاته الى العالم من حوله ومحافظة عندما يحاول ان يحافظ على بناءات الفكرة الداخلية . لقد افرد جولدمان فصلا كاملا من كتابه "الابداع الثقافي والمجتمع الحديث -سوسيولوجية البنية الكلية العصرية" (1971) لكي يوضح ان مصطلح الوعي الممكن يمكن ترجمته الى الوعي المحسوب لجماعة اجتماعية معينة.

المرجع :

عبد المعطي، عبد الباسط (1998). اتجاهات نظرية في علم الاجتماع. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

5/نص مقترح للقراءة والاثراء:

النظرية النقدية أو مدرسة فرانكفورت

د. جميل حمداوي

توطئة:

تعد النظرية النقدية من أهم النظريات التي انتعشت في فترة مابعد الحداثة بألمانيا، وإن كانت هذه النظرية قد تبلورت في فترة مبكرة، في ثلاثينيات القرن العشرين، وذلك بمدرسة فرانكفورت، وتجسدت في عدة ميادين ومجالات معرفية، كالفلسفة، وعلم الاجتماع، والسياسة، والفن، والنقد الأدبي. بيد أن هذه المدرسة ستأخذ طابعا فكريا مغايرا منذ السبعينيات من القرن العشرين، وسينضم إليها مثقفون آخرون، سيقومون بإغنائها نظريا وتطبيقيا. ومن ثم، فقد تحولت النظرية عند مارتن جاي":(M.Jay) من (نادي ماركس) قبل هجرتها من فرانكفورت، إلى (نادي ماكس) بعد عودتها، وحيث هناك في المهجر، فقد الحرف (R)الذي تبدأ به كلمة الثورة]" 1 .(Revolution) [ويعني هذا انتقال مدرسة فرانكفورت من أفكار ثورية ماركسية إلى أفكار متطورة في عهد ماكس هوركايمر، حيث تم التركيز على الفلسفة أكثر من التركيز على التاريخ والاقتصاد كما كان في السابق. وبالتالي، فقد استهدفت النظرية النقدية تقويض الثقافة البورجوازية الرأسمالية الاستهلاكية. وعليه، فهدف النظرية النقدية هي تغيير المجتمع على جميع المستويات والأصعدة، وتحقيق التحرر البشري، والمؤالفة بين النظرية والممارسة، والجمع بين المعرفة والغاية، والتوفيق بين العقل النظري والعقل العملي، والمزاوجة بين الحقيقة والقيمة. زد على ذلك، فقد كانت النظرية النقدية بمثابة تجديد نقدي للنظريات الماركسية والراديكالية.

هذا، ويمكن التمييز بين فترتين في النظرية النقدية أو مدرسة فرانكفورت: فترة الريادة من الثلاثينيات إلى أواخر السبعينيات، وهي فترة هوركايمر، وماركوز، وأدورنو، وفروم...، وفترة التجديد من بداية السبعينيات إلى سنوات الثمانين من القرن الماضي، وهي فترة يورجين هابرماس، وألفرد شميدت، وكلاوس أوفي، وألبرخت فيلمر... وقد احتفظت النظرية النقدية الجديدة لمابعد الحداثة باهتمامها الخاص بفلسفة العلوم الاجتماعية، ونقد الإيدولوجيا.

-1مفهوم النظرية النقدية:

يقصد بالنظرية النقدية تلك النظرية التي كان ينطلق منها رواد مدرسة فرانكفورت في انتقادهم للواقعية الساذجة المباشرة، فالنظرية النقدية تعني نقد النظام الهيجلي، ونقد الاقتصاد السياسي، والنقد الجدلي. وتهدف هذه النظرية إلى إقامة نظرية اجتماعية متعددة المصادر والمنطلقات، كالاستعانة بالماركسية، والتحليل النفسي، والاعتماد على البحوث التجريبية. وبتعبير آخر، فالنظرية النقدية هي تجاوز للنظرية الكانطية، والمثالية الهيجيلية، والجدلية الماركسية، فهي نقض للواقع، ونقد للمجتمع بطريقة سلبية إيجابية. ويعني هذا بشكل آخر أن نقد متناقضات المجتمع، ليس فعلا سلبيا، بل هو فعل إيجابي في منظور مدرسة فرانكفورت. ويرتبط مفهوم" النظرية النقدية" بعنوان كتاب هوركايمر: "النظرية التقليدية والنظرية النقدية" (1937م)، وقد جمع فيه صاحبه مجمل التصورات التي عرف بها أصحاب مدرسة فرانكفورت سواء النظرية منها أوالتطبيقية، كما ضمنه مجمل المقترحات التي كانوا يؤمنون بها لإنقاذ الأدب وتصحيحه. ومن ثم، فالنظرية النقدية هي تجاوز للنظريات الوضعية التي كانت ترفض التأملية الانعكاسية منهجا في التعامل مع الموضوع المرصود. ومن جهة أخرى، فقد استهدفت النظرية النقدية تنوير الإنسان الملتزم تنويرا ذهنيا وفكريا، وتغييره تغييرا إيجابيا، بعد أن حررته من ضغوطه الذاتية،عن طريق نقد المجتمع بتعريته إيديولوجيا]2.[

وعليه، فالنظرية النقدية عند هوركايمر هي: "ما تعبر عنه الاتجاهات الوضعية في نظريتها للنشاط البشري على أنه شيء أو موضوع خارجي داخل إطار من الحتمية الميكانيكية، على حين ترفض النظرية النقدية النظر إلى الوقائع الاجتماعية على أنها أشياء، ومن ثم ترفض طابع الحياد الذي تتسم به الوضعية، وتحاول في المقابل أن تطرح فكرا لا يفصل بين النظرية والممارسة.

وقد فهم هوركايمر، ومعه فلاسفة فرانكفورت، الماركسية على أنها العلم النقدي للمجتمع. وبالتالي، فمهمة الفلسفة هي متابعة العملية النقدية، والتحري عن أشكال الاغتراب الجديدة. وقد أخذت مساهمته الخاصة شكل تحليل نقدي للعقل. فلئن يكن العقل قد صاغ في الماضي مثل العدالة والحرية والديمقراطية، فإن هذه المثل حل بها الفساد في ظل هيمنة البورجوازية التي أدت إلى تحلل حقيقي للعقل. ومن هنا، بدت الحاجة إلى نظرية نقدية جدلية تستطيع أن تتعقل اغتراب العقل بالذات]."3[

ونفهم من هذا أن النظرية النقدية ظهرت كرد فعل على المثالية الألمانية، وكذلك كرد فعل على الوضعية التجريبية التي كانت تدرس الظواهر الاجتماعية دراسة علمية موضوعية من خلال ربط المسببات بالأسباب، وذلك في إطار تصور آلي ميكانيكي. ومن هنا، فالنظرية النقدية هي قراءة نقدية للعقل الجدلي

ليس بالطريقة الكانطية، بل في ضوء رؤية ماركسية واقعية جدلية. وبالتالي، تعمل النظرية النقدية على نقد الواقع الاجتماعي، وتقويض تصوراته الإيديولوجية الليبرالية، والبحث عن تجليات الاغتراب الذاتي والمكاني سواء في النصوص والخطابات أو في واقع الممارسة.

وتهدف النظرية النقدية حسب هوركايمر إلى تحقيق مهام ثلاث: "أولها، الكشف في كل نظرية عن المصلحة الاجتماعية التي ولدتها وحددتها، وهنا يتوجه هوركايمر، كما فعل ماركس، إلى تحقيق الانفصال عن المثالية الألمانية، ومناقشتها في ضوء المصالح الاجتماعية التي أنتجتها.

والمهمة الثانية للنظرية النقدية عنده، هي أن تظل هذه النظرية على وعي بكونها لا تمثل مذهبا خارج التطور الاجتماعي التاريخي. فهي لا تطرح نفسها باعتبارها مبدأ إطلاقيا، أو أنها تعكس أي مبدأ إطلاقي خارج صيرورة الواقع. والمقياس الوحيد الذي تلتزم به هو كونها تعكس مصلحة الأغلبية الاجتماعية في تنظيم علاقات الإنتاج بما يحقق تطابق العقل مع الواقع، وتطابق مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة.

أما المهمة الثالثة، فهي التصدي لمختلف الأشكال اللامعقولة التي حاولت المصالح الطبقية السائدة أن تلبسها للعقل، وأن تؤسس اليقين بها على اعتبار أنها هي التي تجسد العقل، في حين أن هذه الأشكال من العقلانية المزيفة ليست سوى أدوات لاستخدام العقل في تدعيم النظم الاجتماعية القائمة، وهو ما دعاه هوركايمر بالعقل الأداتي]."4[

وعليه، فالنظرية النقدية هي التي تحقق المصلحة الاجتماعية، وتراعي التطور الاجتماعي التاريخي في إطار المادية التاريخية، وهذا يقرب النظرية النقدية من المادية الثقافية، كما تهدف هذه النظرية إلى خدمة مصالح الأغلبية، والتصدي للأشكال الشكلية والتيارات اللامعقولة التي تخدم الأنظمة الحاكمة.

وعلاوة على ذلك، فالنظرية النقدية هي قراءة ماركسية للأدب. وفي هذا الصدد، يقول توم بوتمور (T.Bottomore)في كتابه: "مدرسة فرانكفورت": "تؤكد النظرية النقدية على انتسابها إلى الماركسية، دون أن تضيع الاختلاف مع قراءاتها الكلاسكية، وبخاصة تلك التفسيرات والأطروحات التي قدمها رواد ومنظرو الأممية الثانية والثالثة، وعلى رفضها الاختيار بين التماثل المتناقض مع الفلسفة والعلم، بادعاء أن ما قدمته هو شكل جديد للموضوعية الاجتماعية التاريخية، وهو ما جعلها في تعارض مع الميتافيزيقا والوضعية]."5[

وتأسيسا على ما سبق، فالنظرية النقدية نظرية تتجاوز الوضعية، وترفض منطلقات المثالية الألمانية، ومن ثم، فهي نظرية اجتماعية ماركسية، تولي أهمية كبيرة للذات في تفاعلها مع الموضوع، كما ترتكز على المادية التاريخية، وتعنى بالقيم والأخلاق، وبتفاعل الذات مع المجتمع على أن الذوات البشرية مستقلة وغير خاضعة لحتميات أوجبريات موضوعية. ويعني هذا أن الإنسان له دور كبير في صنع التاريخ، وتغيير مجتمعه. ومن ثم، فالنظرية النقدية في الحقيقة هي رؤية نقدية إزاء المجتمع الرأسمالي الاستهلاكي في قمة تطبيقاته العملية واليومية.

-2سياق النظرية النقدية:

من المعلوم أن النظرية النقدية في مجال الأدب وعلم الاجتماع قد ارتبطت بمعهد البحوث الاجتماعية أو بمدرسة فرانكفورت الألمانية التي يمثلها كل من: تيودور أدورنو(Theodor.Adorno)، وماكس هوركايمر(M.Horkheimer)، وهربرت ماركوز(H.Marcuse)، ويورغن هابرماس(J.Habermas)، ووالتر بنيامين(W.Benjamin)، وفردريك لوبوك(F.Pollock) ، وإيريك فروم(E.Fromm) ، ولوفينتال(L.Lowenthal)، ووألفريد شميت(Alfred shmidt) ، وكلاوس أوفي(C.Offe) ، وأولبرخت فيلمر(A.Wellmer)، وفرانز نيومان ...(F.Neuwmann) وقد ظهرت هذه المدرسة في ألمانيا في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين،وقد انتقل المعهد إلى نيويورك إبان المرحلة النازية، ثم استقر بفرانكفورت مرة أخرى في عام 1950م. وقد تأثر تحليل مفكري هذه المدرسة ونقدهم للثقافة الحديثة والمجتمع بما تعرضوا له من مضايقات وتعسفات وضغوطات في عهد الفاشية.

هذا، وقد جاءت النظرية النقدية كرد فعل على الوضعية (Positivism) التي كانت تعنى مع أوجست كونت بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية موضوعية تجريبية، باستخدام الملاحظة والتكرار والتجربة، وربط الأسباب بمسبباتها، بغية فهم الظواهر العلمية فهما علميا دقيقا. وكانت الوضعية تهتم أيضا بوصف الظواهر دون تفسيرها، لأن التفسير يرتبط في منظور الوضعية بالـتأملات الفلسفية والميتافيزيقية. كما استبعدت الوضعية البعد الإنساني والتأملي والأخلاقي في عملية البحث. وقد وجهت مدرسة فرانكفورت إلى هذه النظرية الوضعية انتقادات قاسية. وفي هذا الصدد، يقول توم بوتومور في كتابه: "مدرسة فرانكفورت":"اتخذ أصحاب مدرسة فرانكفورت موقفا مناهضا لها، فانتقدها أدورنو لعجزها عن اكتشاف المصلحة الذاتية التي قد تسهم في تحقيق تقدم موضوعي، بسبب القصور الكامن في أسسها المنهجية، وفشلها في إقامة صلة قوية بين المعرفة من ناحية والعمليات الاجتماعية الحقيقية من ناحية أخرى.لذلك، انتقدها

هابرماس بسبب طبيعتها المحافظة، وقصورها عن فهم العلاقة الخاصة بعلم الاجتماع والتاريخ، انطلاقا من أن علم الاجتماع الوضعي لا يأخذ في اعتباره دور التحولات التاريخية في تشكيل المجتمعات.

وبشكل عام، هاجم مفكرو مدرسة فرانكفورت سعي الوضعية إلى تحقيق المعرفة العلمية، وتكميم الحقائق، بما يؤدي إلى ضياع المعنى الجوهري للظواهر الاجتماعية. وأنه ارتباطا بذلك، فقد أدى تمثل الوضعية لنموذج العلم الطبيعي في علم الاجتماع إلى فصل المعرفة عن بعدها الأخلاقي، وهو ما يعني استبعاد الموقف الأخلاقي للباحث، عن طريق الادعاء بأن علم الاجتماع هو علم متحرر من القيمة، وهو ما يعني أيضا أن هذا العلم يمكن أن يكون أداتيا بالنسبة للقوى الاجتماعية المتسلطة، أو هو وسيلة للتحكم والهيمنة كما حدث في الرأسمالية المتقدمة]."6[

ويدل هذا على أن الوضعية العلمية تستبعد الذات، والتاريخ، والأخلاق، والمصلحة الاجتماعية، وأنها في خدمة الليبرالية المستغلة، زد على ذلك، أنها تعتبر البشر كائنات مقيدة بحتميات علمية جبرية، وأن لا دور للإنسان في التغيير أو صنع التاريخ:"يرى مفكرو فرانكفورت أن التراث الوضعي يميل للنظر إلى البشر باعتبارهم كائنات لا قوة لها في مواجهة المجتمع، وهو ما يتضح لدى دوركايم الذي يؤكد أن الفرد يجد نفسه في مواجهة المجتمع كقوة أسمى منه عليه أن ينحني أمامها، أو ما يؤكد عليه ماكس فيبر حين يرى أن الفرد في المجتمعات البيروقراطية، رأسمالية أم اشتراكية، ليس إلا ترسا في آلة كبيرة.

وفي مواجهة ذلك، ترى النظرية النقدية أن ذلك ناتج عن العمق الداخلي للإنسان، ومن ثم، تؤكد هذه النظرية على العلاقة الجدلية بين الفرد والمجتمع، كذوات مستقلة غير خاضعة، تعكس جوانب الحقيقة الكلية]."7[

كما أتت النظرية النقدية كرد فعل على النظريات النقدية للعقل المثالي كما عند كانط وهيجل، بالاعتماد على القراءة الماركسية الجدلية، والاستعانة بالمادية التاريخية. كما وقفت إزاء النظريات البورجوازية التي مارست صنوفا من السلطة الفكرية، ورفضت الفصل بين النظرية والممارسة، بعد أن كانت النظرية في المثالية الألمانية هي المفضلة. وباختصار، فإن النظرية النقدية قد انتقدت النزعة العلمية المغالية، وانتقدت أيضا العقلانية العلمية التقنية، وذلك باعتبارها شكلا من أشكال الهيمنة التي ميزت الرأسمالية الأكثر تطورا، أو بشكل أوسع انتقدت تلك المجتمعات الصناعية المتقدمة في القرن العشرين. وجاءت أيضا لنقد الإيديولوجيات السائدة، ونقد الفاشية المستبدة، ونقد النزعة المعادية للسامية إبان وصول النازية إلى الحكم.

-3رواد النظرية النقدية:

بادىء ذي بدء، فرواد مدرسة فرانكفورت ليسوا متفقين على تصور مذهبي ونظري واحد، فهم مختلفون في كثير من الآراء والتصورات، ولكنهم يتفقون في بعض النقاط المشتركة، بل يمكن التمييز بين النظرية النقدية الكلاسيكية والنظرية النقدية الجديدة.

ومن ثم، يعد ماكس هوركايمر من المؤسسين الحقيقيين لمدرسة فرانكفورت، وقد كان مديرا لها منذ 1931م، وقد اهتم في بداية المعهد بدراسة الفلسفة الاجتماعية،ونقد المذهب الوضعي والمثالية الألمانية والوضعية المنطقية، وهاجم الميتافيزيقا الغربية على غرار جاك ديريدا ومارتن هايدجر. وقد عاب هوركامير على الوضعية ميلها الكبير إلى العلمية والموضوعية والتجريبية، وتشييء الإنسان، وفصل الحقيقة عن القيم، كفصلها المعرفة عن المصالح البشرية.

وهكذا، يقدم هوركايمر، مقابل الوضعية وعلى النقيض منها، "نظرية جدلية تظهر فيها الحقائق الفردية بذاتها في ترابط لا لبس فيه دائما، وتسعى لأن تعكس الواقع في كليته. فضلا عن ذلك، فإن الفكر الجدلي، يوحد المكونات التجريبية في تركيبات من الخبرة... المهمة للمصالح التاريخية التي يرتبط بها الفكر الجدلي... فعندما يعي فرد فعال من ذوي الحس السليم الوضع الكريه للعالم، فإن الرغبة في تغييره تصبح هي المبدأ المرشد الذي ينظم به الحقائق المعطاة، ويشكل منها نظرية... وبقدر ما يعتمد التفكير الصائب على إرادة قويمة، بقدر ما تعتمد الإرادة القويمة على التفكير الصلب]."8[

ويتابع ماكس هوركايمر التعريف بنظريات مدرسة فرانكفورت وتوجهاتها في مقال قيم تحت عنوان: "النظرية التقليدية والنظرية النقدية" (1937م)، يوضح فيه أسس المدرسة ومرتكزاتها النظرية والتطبيقية. وقد سعى هوركايمر جادا إلى تسليح الطبقة العاملة (البروليتاريا) بفكر نقدي تغييري، ووعي طبقي تنويري. وقد اهتم هوركايمر بالمجال الثقافي، واهتم كذلك بالفرد كمركز للفكر والعمل، متأثرا في ذلك بالفلسفة الوجودية السارترية وفلسفة ماكس فيبر، واعتنى بشكل من الأشكال بعلم نفس الفرد والتحليل السيكولوجي. وقد انتهى هوركايمر في نهاية حياته عن أن يكون منظرا نقديا، فتحول إلى راهب ديني وصوفي، حينما جعل كانط وهيجل فوق ماركس.

أما الثوري النقدي هربرت ماركوز، فقد كتب مجموعة من المقالات في الثلاثينيات من القرن الماضي، وخاصة كتابه: "العقل والثورة" (1941م)، داعيا إلى نظرية اجتماعية جدلية مناقضة للعلم الاجتماعي الوضعي كما عند أوجست كونت، وشتال، وفون شتاين خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر

الميلادي؛ لأنها كانت تماثل بين دراسة المجتمع ودراسة الطبيعة. وما يلاحظ على ماركوز أنه بنى نظريته الجدلية على أفكار هيجل، وحول فكر ماركس إلى هيجيلية راديكالية، فحصر اهتمامه في نقد أصول الفلسفة الوضعية والعلم الاجتماعي.

وقد عرف ماركوز بعدائه الشديد للهيمنة التقنية، وكان يعتبر العقل المنغلق سببا في استلاب الإنسان، وتحويله إلى آلة انتاجية ليس إلا. ومن ثم، فقد بلور ماركوز فلسفة تشاؤمية بسبب اغتراب الإنسان في المجتمع الصناعي الحديث الذي تغلب عليه التقنية، ويضيع فيه الإنسان باعتباره ذاتا وكينونة ووجودا، وهي نفس النزعة التشاؤمية الموجودة عند ماكس فيبر، و يرجع هذا التشاؤم إلى شعور فئة معينة من المجتمع.أي: الشريحة العليا المثقفة من الطبقة الوسطى، أوالصفوة المثقفة بالإحباط وخيبة الأمل.

وقد بين ماركوز في كتابه: "إنسان البعد الواحد" باختفاء الدور التاريخي الفعال للطبقة البورجوازية والطبقة البروليتارية على حد سواء، و هناك قوة واحدة مخفية متحكمة في مسار هاتين الطبقتين معا هي العقلانية العلمية التقنية. وليست هناك طبقة معارضة، فقد تم استيعاب الطبقة العاملة واسترضاؤها من خلال تحفيزات مادية استهلاكية، وترشيد عملية الإنتاج ذاتها. وقد أثارت أفكار ماركوز:"استجابة سريعة لدى حركة الطلبة الأمريكية في أواخر الستينيات بمعارضتها للنظام، ولدى حركات طلابية أخرى في دول أوروبية شتى إلى حدما. لكن الحركات الاجتماعية في ذلك الوقت كانت جميعها واقعة تحت تأثير تحليلات متنوعة عن البنية الطبقية المتغيرة، وعن مغزى التكنوقراطية والبيروقراطية، التي قدم علماء الاجتماع إسهامات ملحوظة بصددها]."9[

وتتركز أفكار هربرت ماركوز سياسيا حول ثلاث قضايا شائكة: دور الطلاب في العالم الرأسمالي، والحركة الطلابية في فرنسا عام1968م، ودور الطبقة العاملة الحديثة في الغرب.

هذا، وقد آمن ماركوز بقوى ثورية جديدة ستظهر في المستقبل داخل المجتمع الحديث، وسيتم التحرر الاجتماعي عن طريق الإشباع الجنسي كما يبين ذلك في كتابه: "الحب والحضارة". وقد برهن فيه سيكولوجيا : "بأن تجاوز الندرة المادية في المجتمعات الصناعية المتقدمة، سيخلق الشروط المناسبة لإحراز البشر هدفهم في السعادة من خلال التحرر الجنسي، وتفوق مبدأ المتعة، الذي تصوره كأساس للانعتاق الشامل المؤثر في كافة العلاقات الاجتماعية]."10[

ويعد تيودور أدورنو من أهم رواد النظرية النقدية، ومن المؤسسين الفعليين لمدرسة فرانكفورت، وقد انصب اهتمامه على مجال الثقافة، وبخاصة الموسيقا، والتحليل النفسي، ونظرية علم الجمال، متأثرا في ذلك بوالتر

بنيامين، ولم يعرف بالنظرية الجدلية، بقدر ما عرف بالجدل السلبي في نقده للنظريات الفلسفية والنظريات الاجتماعية، كأنه يعيدنا بهذه الأفكار السلبية إلى مذاهب الشك والنسبية. وإذا كان هوركايمر وماركوز لهما صياغة اجتماعية إيجابية على أساس التصور الهيغلي للعقل، فإن آراء أدورنو كانت بعيدة عن الماركسية، على الرغم من كونه يدعي أن فلسفته مادية جدلية. وقد انتقد أدورنو مرات عديدة أفكار ماركس، وخاصة علم التاريخ والمادية التاريخية، ولم يهتم بحال من الأحوال بتحليل ماركس الاقتصادي، وعلاقته بنظريته عن الطبقات، بل أخذ من جورج لوكاش المستوى السلبي من النقد الإيديولوجي في نقد الوعي الطبقي البورجوازي. وقد ساهم في بلورة النقد الثقافي كما يبدو ذلك واضحا في بحثه الذي كتبه مع هوركايمر بعنوان:"جدل التنوير" (1944م)، حيث انتقد فيه العقل العلمي الوضعي الذي يقدم حقائق زائفة عن الوضع البشري، وانتقد العلم والتقنية، وكان يرى أنها سببا في استلاب الإنسان واستغلاله، وأنها وهم إيديولوجي زائف ليس إلا. كما انتقد الثقافة الجماهيرية الساذجة التي تساعد على انتشار الإيدولوجيا الواهمة.

ومن جهة أخرى، رفض أدورنو نظرية لوكاش الواقعية التي تقوم على الانعكاس المباشر، حيث يتحول الأدب أو الفن في منظوره إلى مرآة تعكس بطريقة مباشرة مايقع في الواقع محاكاة وتمثلا ونقلا وتصورا. وقد اهتم أدورنو بالجمال اهتماما لافتا للانتباه، ويعد أدورنو كذلك من رواد نظرية الجمالية الجديدة، حيث ألف كتابا تحت عنوان:"نظرية الجمال"، حيث يعطي مفهوما جديدا للفن والجمال مخالفا للتصور الماركسي الذي يرى أن الجمال تمثل للعالم وانعكاس له، بينما يرى أدورنو أن الجمال أو الفن وسيلة هروب غامضة. و"هكذا، يرفض أدورنو نظرة لوكاش إلى الواقعية، مؤكدا أن الأدب لا يتصل اتصالا مباشرا بالواقع على نحو ما يفعل العقل، فتباعد الفن عن الواقع هو الذي يكسبه قوته ودلالته الخاصة. ويتوقف أدورنو عند الطرائق التي يستخدم بها المسرحي صمويل بيكيت الشكل، والموسيقار شوبنبرج الثورة اللانغمية، ليصور خواء الثقافة الحديثة]."11[

ويعني هذا أن شعرية الأدب لا تكمن في مفهوم المحاكاة، بل في الانزياح والابتعاد عن مفهوم الانعكاس المباشر. كما أن الفن عند أدورنو يتخذ موقفا نقديا وسلبيا من العالم. وفي هذا السياق، يقول دافيد كارتر (David karter): "انتقد أدورنو نظرية لوكاش القائلة: إن للفن علاقة مباشرة مع الواقع. وبالنسبة لأدورنو، إن الفن، بما في ذلك الأدب، معزول عن الواقع، وهذا هو مصدر قوته تماما. إن أشكال الفن الشعبي تؤكد فقط، على مطابقة قواعد المجتمع، وتخضع لتلك القواعد أيضا، ولكن الفن الحقيقي يتخذ موقفا نقديا، في منأى عن العالم الذي أنشأه: "الفن هو المعرفة السلبية للعالم الفعلي". ورأى أدورنو الاغتراب واضحا في كتابات بروست وبيكيت على أنها تثبت هذه المعرفة السلبية للعالم الحديث]."12[

ومن هنا، فالنظرية النقدية - حسب أدورنو - هي نقد للواقعية الماركسية الانعكاسية الساذجة، التي تعقد الصلة المباشرة بين الأدب والمجتمع في جل تناقضاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتاريخية.

وفي الأخير، "لم ير أدورنو إمكانية لتحرير الفرد من التسلط والهيمنة، لا في ظهور جماعات معارضة جديدة، ولا في التحرر الجنسي، وإنما ارتأى هذه الإمكانية بالأحرى في عمل الفنان الأصيل الذي يواجه الواقع المعطى بالتلميح إلى مايمكن أن يكون. وعلى هذا، فإن الفن الأصيل يمتلك قوة غلابة، لدرجة يضعه أدورنو في مواجهة العلم الذي يعكس الواقع الموجود فحسب، فيما يمثل الفن الأصيل شكلا أعلى من أشكال المعرفة، وسعيا متجها إلى المستقبل وراء الحق]."13[

أما والتر بنيامين (1892-1940م)، فيعد أيضا من رواد مدرسة فرانكفورت، وقد تأثر بكتابات كارل ماركس وأفكار جورج لوكاش الواقعية، وتكمن أهميته في كونه قدم أفضل الصيغ في الفكر النقدي للأدب، وقد ساهمت نظريته بشكل من الأشكال في ظهور البنيوية التكوينية عند لوسيان كولدمان. وقد اهتم بالفن كأدورنو اهتماما لافتا للانتباه،حيث درس الأدب في ضوء مفاهيم ماركسية، حيث اعتبر الفن والإبداع الأدبي إنتاجا والمؤلف منتجا، كما يتضح ذلك جليا في كتابه: "المؤلف منتج" (1934م). وقد طالب بنيامين أن يكون الإنتاج ثوريا، وعاملا فعالا في خلق علاقات اجتماعية جديدة بينه وبين المتلقي.ويعني هذا أنه يدعو إلى الفن الثوري الذي يغير المجتمع شكلا ومضمونا، وينوره بشكل إيجابي عبر تمرير رسائل ثورية. ومن هنا، يعتمد الفن عند والتر بنيامين : "على تقنيات معينة من الإنتاج، شأنه في ذلك شأن غيره من أشكال الإنتاج.أي: يعتمد على أنماط معينة في الرسم والنشر والعرض المسرحي...إلخ. هذه الأنماط جزء من القوى الإنتاجية للفن، وجانب من مرحلة من مراحل تطور الإنتاج الفني، تتضمن جماعا من العلاقات الاجتماعية بين الفنان المنتج والمتلقي المستهلك]."14[

ومن جهة أخرى، يرى بنيامين أن الاستنساخ الصناعي قد قضى على الفن الراقي والسامي، وحوله إلى كليشيهات لاحياة فيها ولاروح. وهكذا، يقول بنيامين في مقاله: "العمل الفني في عصر الاستنساخ الصناعي" (1933م): "إن الأعمال التراثية في الفن كانت تحيط بها هالة من التفرد والتميز والتباعد والديمومة.ولكن الاستنساخ الآلي للرسم، مثلا، قضى على هذا التفرد، وأحل محل اللوحة الفريدة نسخا شعبية، فحطم بذلك من هالة الفن المتوحد المغترب، وأتاح للمشاهد أن يرى اللوحة حيث يشاء، وحين يشاء. وإذا كان البورتريه يحافظ على تباعده عن الموضوع، فإن آلة التصوير تنفذ إلى الموضوع، وتقارب بينه وبين المشاهد إنسانيا

ومكانيا إلى أبعد حد، فتقضي على أي سحر غامض ينطوي عليه الموضوع. يضاف إلى ذلك أن الفيلم في آلة التصوير يجعل الناس جميعا خبراء، ماظلوا قادرين على التقاط الصور الفوتوغرافية؛ فتتهدم الشعيرة التقليدية لما سمي بالفن الراقي]."15[

هذا، وقد كرس إريك فروم كتاباته لإنشاء علاقة بين التحليل النفسي والماركسية،" عن طريق توسيع تفسيرات سيغموند فرويد فيما يتعلق بالفرد، لتشمل الموقع الطبقي للأسرة والوضع التاريخي للطبقات الاجتماعية. وتابع فروم في أعماله اللاحقة هذا الهدف الرامي إلى إقامة علم نفس اجتماعي ماركسي، يمكن أن تندمج فيه نظرية فرويدية معدلة، وبخاصة في نموذجه عن: "الشخصية الاجتماعية"، التي صاغها في ملحق كتابه: "الخوف من الحرية". ومع ذلك، توقف فروم في ذلك الوقت عن إقامة أية علاقات مع المعهد. فقد كان تفسيره السوسيولوجي الجديد، والذي يعد أكثر تجريبية وأكثر ماركسية للتحليل النفسي، موضع نقد كل من أدورنو وماركوز بعد فترة وجيزة]."16[

أما يورجين هابرماس مجدد مدرسة فرانكفورت، فيمثل النظرية النقدية في مرحلة ما بعد الحداثة، وهو من أبرز المعبرين عن الاتجاه العقلاني، إذ نقد الطابع التقني والوضعي القمعي للعقل في الممارسات الرأسمالية والاشتراكية، ويعد أيضا عند توم بوتومور المفكر الأكبر لما بعد مدرسة فرانكفورت أو النظرية النقدية الجديدة. و"على الرغم من قربه من الماركسية، فإنه يختلف مع ماركس في أمر أساسي: فهو يرى أن ماركس قد أخطأ في إعطائه للإنتاج المادي المركز الأول في تعريفه للإنسان في رؤيته التاريخية، باعتباره تطورا للأشكال والأنماط الاجتماعية.

ولهذا، يرى هابرماس أن التفاعل الاجتماعي هو أيضا بعد أساسي من أبعاد الممارسة الإنسانية، وليس الإنتاج وحده، وهو ما يوضح فلسفته التي تقوم على مفهوم الاتصال أو التواصل، وعلى أسبقية اللغة، وأولويتها على العمل.

والعقل الاتصالي عند هابرماس، هو فاعلية تتجاوز العقل المتمركز حول الذات، والعقل الشمولي المنغلق الذي يدعي أنه يتضمن كل شيء، والعقل الأداتي الوضعي الذي يفتت الواقع ويجزئه، ويحول كل شيء إلى موضوع جزئي حتى العقل نفسه] ."17[

وقد وجه هابرماس انتقادات صارمة للماركسية، فأعاد بناءها على أسس جديدة، وتسمى هذه المرحلة من مراحل مدرسة فرانكفورت بمرحلة مابعد الماركسية. وقد بدأ مقالاته التي كتبها في الستينيات بتقويم الوضعية العلمية والمنطقية على غرار أسلافه من مفكري معهد فرانكفورت. وقد ميز بين ثلاثة أنواع من

المعرفة انطلاقا من منظور المصلحة التي تحققها للجنس البشري، وذلك في كتابه: "المعرفة والمصالح البشرية" (1974م) وقد حصرها في مصلحة تقنية، ومصلحة عملية، ومصلحة تحررية. وقد اعتبر هابرماس النموذج النفسي الفرويدي أداة صالحة للنظرية النقدية لتحقيق الثورة التحررية الإنسانية والمجتمعية. وقد أكد هابرماس أسبقية اللغة على العمل، وأكد أيضا ترابط اللغة والعمل الاجتماعي، حيث من الصعب فصل عنصر على آخر، وخالف بذلك رأي ماركس الذي كان يعتبر العمل هو الذي خلق الإنسان. لكن هابرماس يرى أن باللغة تحقق الاستقلال الذاتي والمسؤولية. وبهذا، يكون هابرماس قد انتقل من نظرية المصالح المعرفية إلى نظرية اللغة والاتصال. ويلاحظ أن هناك ارتباطا في فكر هابرماس بين التحليل الفلسفي ونظرية المجتمع، وإن تغيرت طبيعة هذا الارتباط بالتدريج. ففي كتابه "المعرفة والمصلحة البشرية"، كان هناك تماثل بين الأنواع الثلاثة من المعرفة مع قسمات رئيسة للحياة الاجتماعية، وهي: العمل، والتفاعل، والتسلط. وانتقل في المرحلة الثانية إلى تقديم نظرية في الحق لاتضرب بجذورها في المجتمع، وإنما في اللغة بوصفها ميزة عامة للجنس البشري، وتستمر هذه الفكرة في أعمال هابرماس، وإن كان يشدد في الأخير على إعادة بناء النظرية في المجتمع.

و"بالفعل، فإن هذا التطور يسجل ابتعادا أكثر عن نظرة مدرسة فرانكفورت في مرحلتها الأخيرة، وأصبح هذا التباعد أكثر صراحة بإعلان هابرماس أنه يتناول النظرية الاجتماعية بوصفه: "منظرا ماركسيا مهتما بمواصلة التعاليم الماركسية في ظل ظروف تاريخية متغيرة على نحو كبير". وهكذا، قدم هابرماس عناصر النظرية الماركسية المعاد بناؤها في عملين مهمين خلال السبعينيات، دار أولهما حول مشكلات الشرعية في المجتمعات الرأسمالية إبان مراحل تطورها الأخيرة، والثاني حول المادية التاريخية]."18[

وبناء على ماسبق، فقد حدد هابرماس أربعة أنواع من الأزمات التي تعاني منها المجتمعات الرأسمالية المعاصرة: الأزمة الاقتصادية، وأزمة العقلانية، وأزمة الشرعية، وأزمة الدافعية أو أزمة التحفيز.ومن ثم، فقد حاول أن يقدم تقويما للتحول الذاتي للرأسمالية المتطورة. ومن هنا، فإن هابرماس يقدم قراءة تقويضية للمجتمع الرأسمالي، وقراءة تفكيكية للمجتمع البورجوازي المعاصر.

و"في الظن أن المسألة الأكثر وضوحا، هي مدى ابتعاده عن أفكار مدرسة فرانكفورت الباكرة، حيث نجده قد سار، إلى حد ما، في عكس الاتجاه الذي بدأه أدورنو وهوركايمر، بإيلائه أهمية أكبر للنظرية الماركسية في المجتمع على نحو متميز، حين كرس مزيدا من الاهتمام لتحليل الهياكل الاقتصادية والسياسية، فيما نجد، على العكس، إشارات ضئيلة في أعماله لصناعة الثقافة.

وأكثر من هذا، فإنه لا يطابق النظرية النقدية بالفكر الفلسفي في مواجهة العلم. فهو يقترح أن يوضع النقد بطريقة ما بين الفلسفة والعلم. وهذا المفهوم يتيح مجالا لعلم تجريبي عن المجتمع، على الرغم من أن ذلك لاينبغي أن يستنفذ إمكانية المعرفة الاجتماعية، ويجب إتمامه، أو وضعه، في إطار فلسفة تاريخ لها هدف سياسي.

وفي الوقت نفسه، توجد هناك أيضا استمراريات واضحة في النظرية النقدية من الثلاثينيات حتى الوقت الراهن.

وعلى الرغم من أن هابرماس لم ينسب إلى الفلسفة دورا بارزا للغاية، مثل ذلك الذي حازته في فكر أدورنو وهوركايمر، فإن واقع الحال بلا شك، وبخاصة في أعماله الباكرة، أنه كان لا يزال مشغولا إلى حد بعيد بنقد الوضعية، وكان تأثيره ملحوظا بقوة كبيرة في المناظرات ما بعد النظرية حول الأسس الفلسفية للعلوم الاجتماعية]."19[

هذا، وقد مال هابرماس إلى البنيوية التكوينية كبديل لفلسفة التاريخ التي تبنتها مدرسة فرانفكورت إبان بدايتها، متأثرا في ذلك بجان بياجيه، ولوسيان كولدمان.وبعد ذلك، يشرع في التمييز بين الرأسمالية المنظمة والاشتراكية البيروقراطية، بوصفهما الشكلين الرئيسين للترشيد العقلاني للمجتمعات الحديثة. ويبني هابرماس نظريته النقدية في علم الاجتماع على مرتكزين ضروريين، وهما: الفلسفة والعلم. بيد أن نظرية هابرماس غير تاريخية، ولا تعنى بالاقتصاد، كما هو حال النظرية الماركسية الأولى. و" نرى أن السمة الأكثر تميزا لنظرية ماركس، وإسهامها الأكثر أهمية في إقامة علم واقعي عن المجتمع، هي أنها لا تتعامل مع التفاعل الاجتماعي على وجه العموم، وإنما تتناول علاقة البشر بالطبيعة، والتفاعل فيما بين البشر في عملية الإنتاج، كاتجاهات سائدة ومولدة ومحددة لأشكال أخرى من التفاعل.

إن هذا هو المفهوم الذي منح الماركسية قوتها التفسيرية، والذي لايزال يمنحها هذه القوة حتى اليوم.لأنه مهما تكن الحاجة إلى إعادة بناء للنظرية الماركسية من أجل فهم المراحل المستجدة من تطور المجتمعات الحديثة بشكل ملائم، ولاسيما دورالدولة وطبيعة الصراعات الطبقية، فإنه لا يزال ضروريا البدء من تحليل تنظيم الإنتاج وتسييره، سواء كان ذلك على شكل تسلط رأس المال المتركز في شركات وطنية أو متعددة الجنسية، أو تسلط الإدارة البيروقراطية للصناعة المؤممة]."20[

وعليه، فقد مر فكر هابرماس – حسب سامي خشبة- بمرحلتين رئيستين: مرحلة نقد العقل الوضعي الذي ساد الغرب مع نضج الرأسمالية، وتطور العلوم الإنسانية والتجريبية. والمرحلة الثانية التي انشغل فيها

هابرماس ببناء نظرية اجتماعية قائمة على حركة تنويرية جديدة أو استئناف القديمة، وصياغة عقلانية تسترشد بالمنجزات العصرية لعلوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية، وخاصة علم الاجتماع، وعلوم اللغة والاتصال، وعلم النفس التربوي التطوري].21[

ويمكن أن نحدد بدورنا مراحل أخرى لفكر هابرماس، ففي المرحلة الأولى، انتقد الوضعية العلمية والمنطقية. وبعد ذلك، انتقل إلى الحداثة ليعتبرها دليلا على العقل التنويري، مقابل النزعات اللاعقلانية التقويضية والتفكيكية، وقد ارتأى أن الحداثة هي نموذج التحرر من كل أنواع السيطرة، حيث تتطابق النظرية والتطبيق، والمعرفة والمصلحة... و ركز أيضا على الاتصال بأنواعه باعتباره وسيلة لبناء المعرفة، وليس مجرد تبادلها، كما أشار إلى ذلك في كتابه: "الاتصال ونشوء المجتمع)"1976(

وأعاد للقيم والمعايير الاجتماعية أهميتها، وتبنى الكفاءة الأخلاقية كمضمون للاتصال الاجتماعي، وذلك في كتابه: "نظرية الفعل الاتصالي"(1981م). لكن هابرماس سينتقد مابعد الحداثة التاريخية ابتداء من عام 1985م، حيث يرجع فشلها إلى اختلال التوازن بين القيمة المعنوية والقيمة المادية؛ مما حول عقلانية التنوير إلى حالة مرضية، وتلك هي الحال التي يصف بها تصور فرانسوا ليوتار وجان بودريار لما بعد الحداثة].22[

-5النظرية النقدية في الميزان:

من أهم إيجابيات النظرية النقدية أنها تنتقد التوجهات الرأسمالية بالتقويض والتشريح والتفكيك، وتنتقد النظريات العلمية والوضعية التي أهملت الإنسان، والذات، والمجتمع، والمصلحة الاجتماعية، والقيم الأخلاقية، واعتبرت الإنسان موضوعا مشيأ، تتحكم فيه الحتميات الجبرية، وأنه لا قوة له ولا فاعلية في صنع التاريخ أو تغيير المجتمع. ومن ثم، فقد جاءت النظرية النقدية لتصحيح أوضاع المجتمع وتغييرها، وذلك عن طريق تعرية المؤسسات الرأسمالية المهيمنة، وفضح أوهامها الإيديولوجية، وتطوير المفاهيم الماركسية في ثوب جديد، أو إعادة صياغتها مرة أخرى كما فعل هابرماس. وقد تحققت فعلا قطيعة إبستمولوجية بين النظرية النقدية القديمة والنظرية النقدية الجديدة.

ويمكن القول بأن مدرسة فرانكفورت قد مرت بمجموعة من المراحل، فقد انشغلت في الثلاثينيات والأربعينيات بالاشتراكية الوطنية، ومعاداة السامية، واهتمت في الخمسينيات بصناعة الثقافة، واعتنت في الستينيات بالحركات الثورية التحررية، لا سيما ثورة الطلبة والأقليات العرقية، لتهتم في سنوات السبعين وبعدها بنظرية المعرفة، وإعادة النظر في الكثير من الآراء الماركسية، وبناء أسسها من جديد، وصياغة

نظرية ماركسية جديدة، والاعتناء بالقضايا السياسية والمجتمعية في ضوء النظرية النقدية. وقد ارتبط علم الاجتماع بالماركسية، ووضعت النظرية النقدية إبستمولوجيا بين الفلسفة والعلم، وخاصة مع مفكر التجديد هابرماس.

أما عن أهم الانتقادات الموجهة إلى مفكري مدرسة فرانكفورت اختلاف آرائهم من شخص إلى آخر، واختلاف توجهات مدرسة فرانكفورت لمابعد الحداثة عن مدرسة فرانكفورت في فترة الثلاثينيات من القرن العشرين. كما استبعدت المدرسة اهتمامها بالتاريخ والاقتصاد إلى حد كبير، وانحرفت انحرافا كبيرا عن مبادىء الماركسية الكلاسكية كما عند الجيل الثاني من مفكري معهد فرانكفورت. وقد همشت النظرية النقدية الجديدة مع هابرماس الطبقة العاملة باعتبارها طبقة ثورية سياسية فاعلة ومغيرة.لذا، وصفت مدرسة فرانكفورت بأنها: "ماركسية بدون بروليتاريا"[23]. ومن هنا، "يبدو أن مفهوم مدرسة فرانكفورت عن تدهور، أو تلاشي الطبقة العاملة كقوة سياسية، قدم أساسا على فكرة طوباوية وخيالية عن الثورة، التي هي بأية حال الطريق الوحيدة، أو الأكثر ماركسية، لتصور عملية الثورة الاجتماعية. وربما يكون هذا المفهوم قائما أيضا على انعكاس الخبرة الاستثنائية الأمريكية، الناجمة عن غياب طبقة عاملة منظمة سياسيا في المجتمع الأمريكي، على فكرهم، ولا سيما في حالة ماركوز]."24[

وفي هذا النطاق، يقول توم بوتومور في كتابه: "مدرسة فرانكفورت": "وقد أخفقت مدرسة فرانكفورت في الالتزام بالطريقة القاطعة التي اقترحها هوركايمر للنظرية النقدية، حين ذكر أنها لا تمتلك المفاهيم والأدوات التصورية القادرة على سد الفجوة بين الحاضر والمستقبل]."25[

ويمكن القول أخيرا بأن النظرية النقدية في عمومها قد ابتعدت في مراحلها الأخيرة عن الماركسية التي انطلقت منها في بداياتها، بل اعلنت هذه النظرية فشلها حينما اعتبر هابرماس بأن نظرية مابعد الحداثة حالة مرضية؛ بسبب اختلال التوازن بين ماهو معنوي وماهو مادي.

خلاصة تركيبية:

وهكذا، نصل إلى أن النظرية النقدية هي قراءة ماركسية للمجتمع، ونقد للنظرية العلمية والوضعية التي أهملت الإنسان والذات والتاريخ والمجتمع والأخلاق. ومن ثم، تعمل النظرية النقدية على تنوير المرء الملزم، وتنويره عقلانيا وذهنيا، وانتقاد الاغتراب في المجتمع الرأسمالي، وإدانة فكرة التشييء والاستلاب

والقمع الآلي. ومن ثم، تستند النظرية النقدية في قراءتها للأدب والفن إلى مفاهيم النقد المراكسي الكلاسكي أو الماركسية المعدلة في نظرية هابرماس. ويمكن أن نحدد مجموعة من المراحل التي قطعتها النظرية النقدية الجديدة، فكان هناك في البداية اهتمام بنقد الوضعية العلمية، ومعاداة الفكرة السامية. وبعد ذلك، انتقل الاهتمام إلى المجال الثقافي مع ماركوز، ليتم الإنصات إلى الحركات الثورية الطلابية والأقليات المضطهدة، لتتخذ النظرية النقدية توجها جديا مع هابرماس، حيث بدأت النظرية النقدية الجديدة تقدم تصورات مختلفة حول المجتمع متأرجحة بين الفلسفة والعلم، كما أعيدت صياغة الماركسية من جديد على أسس علمية وسياسية واجتماعية مابعد حداثية، لتنتهي النظرية النقدية بالثورة على مابعد الحداثة نفسها، وذلك حينما وقع اختلال مجتمعي وحضاري بين القيم المادية والقيم المعنوية، فترتب عن ذلك أن أصبحت مابعد الحداثة حالة مرضية مأساوية.

المراجع :

- [1]توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعد هجرس،دار أويا،طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية سنة 2004م، ص:13.

- [2]انظر: د.سعد البازعي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ، سنة 2000م.ص:200.

- [3]توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، ص:206.

- [4]توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، ص:206-207.

- [5]توم بوتومور: المرجع السابق، ص:207.

- [6]توم بوتومور: المرجع السابق، ص:212-213.

- [7]توم بوتومور: المرجع السابق، ص:213.

-[8]توم بوتومور: المرجع السابق، ص:44-45.

- [9]توم بوتومور: المرجع السابق،ص:83.

- [10]توم بوتومور: المرجع السابق، ص:88.

- [11]توم بوتومور: المرجع السابق، ص:188.

- [12]ديفيد كارتر: النظرية الأدبية، ترجمة: د. باسل المسالمه، دار التكوين، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى سنة 2010م، ص:63.

- [13]توم بوتومور: المرجع السابق، ص:88-89.

- [14]تيري إيجلتون: الماركسية والنقد الأدبي، ترجمة: جابر عصفور، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية 1986م، ص:62.

-[15]تيري إيجلتون: الماركسية والنقد الأدبي، ترجمة: جابر عصفور، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية 1986م، ص:63-64.

- [16]توم بوتومور: المرجع السابق، ص:52.

- [17]توم بوتومور: المرجع السابق، ص:160.

- [18]توم بوتومور: المرجع السابق، ص:116.

- [19]توم بوتومور: المرجع السابق، ص:125.

- [20]توم بوتومور: المرجع السابق، ص:147.

- [21]توم بوتومور: المرجع السابق ،ص:160-161.

- [22]توم بوتومور: المرجع السابق،ص:162-163.

- [23]توم بوتومور: المرجع السابق، ص:133.

- [24]توم بوتومور: المرجع السابق،ص:105-136.

- [25]توم بوتومور: المرجع السابق،ص:207.